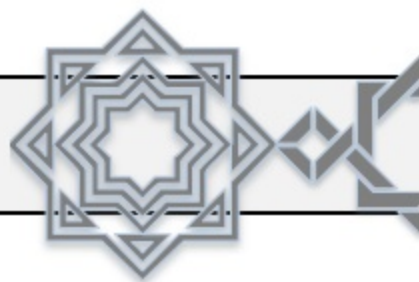


رحلتي من بارق عسير إلى المخواة وقلوة

(مشاهدات وقراءات) (تهامة غامد وزهران تحديداً) (*)

أ.د. غيثان بن علي بن جريس



(*) دراسة منشورة في كتاب: منطقة الباحة: دراسات، وإضافات، وتعليقات (ق ١ - ق ١٥هـ / ق ٧ - ق ٢١ م)، لغيثان بن جريس، (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)، (الجزء الأول)، ص ص ٤٩٩ - ٥٢٨.

الدراسة الخامسة عشرة

رحلتي من بارق عسير إلى المخواة وقلوة
 (مشاهدات وقراءات) (تهامة غامد وزهران تحديداً)
 بقلم: أ. د. غيثان بن علي بن جريس(*)

(*) نشرت هذه الدراسة في كتاب:

القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسراة)، ط ١

(١٤٣٩ هـ، ٢٠١٧ م) - (الجزء الثاني عشر)

الرياض : مطابع الحميضي، ص ص ٢٤٩ - ٣١١

الدراسة الخامسة عشرة : رحلتي من بارق عسير إلى المخوة وقلوة (مشاهدات، وقرارات) (تهامة غامد وزهران تحديداً)^(١).

م	الموضوعات	الصفحة
أولاً؛	مدخل	٥٠٠
ثانياً	رحلتي من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات، وانطباعات)	٥٠٠
	١- المخوة وقلوة	٥٠١
	٢- الشدوان الأسفل والأعلى	٥٠٩
	٣- مشاهدات عامة	٥١٣
ثالثاً؛	صورة من تاريخ بعض بلدان تهامة (المخوة وقلوة وما جاورهما)	٥١٥
	١- من تاريخها في بعض المصادر والمراجع	٥١٥
	٢- من تاريخها في بعض الوثائق بمكتبة د. غيثان بن جريس العلمية	٥١٩
	٣- من تاريخها في بعض البحوث والمقالات والمدونات المنشورة وغير المنشورة	٥٢١
رابعاً؛	نتائج وخلاصات	٥٢٨

أولاً؛ مدخل :

يشتمل هذا البحث على صور من تاريخ بلدان تهامة الممتدة من شمال محاليل عسير إلى قلوة زهران ، ويتكون من محورين رئيسيين هما : (١) ذكر شيء من تاريخ هذه البلاد من خلال مشاهداتي وانطباعاتي أثناء رحلتي في مناكبها . (٢) تدوين صفحات من تاريخها في العصور الإسلامية المختلفة المدونة في بعض المصادر والمراجع المنشورة وغير المنشورة^(٢) .

ثانياً؛ رحلتي من بارق عسير إلى قلوة زهران (مشاهدات، وانطباعات) .

خرجت من مدينة أبها ، في رحلة علمية ، لمدة خمسة أيام ، من صباح يوم الخميس إلى مساء الاثنين (٧-١١/٤/١٤٢٨ هـ الموافق ٥-٩/١/٢٠١٧ م) ، وكانت وجهتي إلى محافظة محاليل عسير^(٣) ،

(١) شملت رحلتنا البلاد الممتدة من بارق إلى قلوة ، ونشرت تلك الرحلة في الجزء الثاني عشر من كتابنا (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (١٤٢٩ هـ / ٢٠١٧ م) ، ص ٢٤٩ - ٣١١ ، وفي هذا الكتاب أقتصرنا على نشر ما يختص بتهامة غامد وزهران وبخاصة محافظتي المخوة وقلوة وما حولهما .

(٢) المزيد من التفاصيل عن بلاد تهامة الممتدة من شمال محاليل إلى مدينة قلوة الزهرانية ، انظر كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (أجزاء من تهامة والسرارة) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠١٧ م) ، ص ٢٤٩ - ٣١١ ، وفي هذا السفر الخاصة بمنطقة الباحة حاولنا جاهدين حذف مادة العلمية الخارجة عن تهامة غامد وزهران ، وأحياناً أبقينا بعض المعلومات المتعلقة بالبلاط الممتدة من بارق إلى المخوة وذلك لترابط الموضوع وتداخله .

(٣) محافظة محاليل عسير ، من المحافظات الرئيسية في منطقة عسير ، ولها تاريخ قديم وحديث ومعاصر ، وحتى هذه الساعة لا نجد أي عمل علمي يصدر عنها ، وسوف أكتب عنها كتابة موسعة في أحد أعمالنا المستقبلية ، ونأمل أن نرى أحد من أبنائها يصدر عنها كتاباً أو دراسة علمية موثقة . للمزيد انظر : غيثان بن جريس محاليل عسير في العصر الحديث (دراسة تاريخية حضارية مختصرة) . بحث منشور في الجزء السادس من سلسلة كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب . (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٥ هـ / ٢٠١٤ م) ، ج٦ ، ص ٢٠٧-٢٢٧ .

ومنها اتجهت إلى محافظة بارق^(١)، وقضيت هذه الأيام الخمسة في مدن وقرى وجبال وأودية الأراضي الممتدة من مدينة بارق في تهامة منطقة عسير إلى مدينتي المخوة مدينة قلوة في تهامة منطقة الباحة^(٢).

١- المخوة وقلوة :

خرجت من العرضية الشمالية حوالي الساعة العاشرة صباح الأحد (١٠/٤/١٤٢٨هـ)، وقضيت بقية ذلك اليوم ويوم الاثنين (١١/٤/١٤٢٨هـ) في محافظتي المخوة وقلوة التابعتين لإمارة منطقة الباحة^(٣). وكانت المسافة بين طرف العرضيات الشمالي ومدينة المخوة حوالي (٢٠-٢٥) كيلومتر، وأثناء سيرني في تلك الطريق، ذات السير الواحد، ما عدا كيلوات محدودة في الجزء القريب من حاضرة المخوة، وهناك بعض القرى الصغيرة والقريبة من هذه الطريق، كما لا تخلو تلك الطريق من محطات للوقود ومحلات تجارية صغيرة، وبناشير وإصلاح عجلات للسيارات وبعض الخدمات الأخرى المحدودة. وعند وصول مثلث المخوة القنفذة تظهر لوحة إرشادية عليها سهم نحو اليمين ويذكر تحته أسماء (المخوة، وقلوة، وقرية ذات عين، ثم الباحة). وسهم آخر نحو اليسار ويذكر تحته (المظيلف والقنفذة) الواقعة على الطريق الدولي الذي يخرج من اليمين إلى مكة وجدة. ويقابل مثلث المخوة من الشمال جبل أجرد متوسط الارتفاع، فاتجهت نحو اليمين ذاهباً إلى حضرتي المخوة وقلوة^(٤).

(١) ورد اسم بارق في كثير من كتب التراث الإسلامي المبكرة، والبارقيون انتشروا في مواطن عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها، وبارق المعنية في هذه الدراسة تستوطن موقعها في تهامة منذ زمن قديم، وأشارت المصادر والوثائق إلى شيء من تاريخها في العصر الحديث، وكانت إحدى المراكز الرئيسية لمحافظة المجاردة، وفي عام (١٤٢٣هـ/٢٠١٢م) فصلت من محافظة المجاردة، وأصبحت محافظة مستقلة من فئات (ب). وأقول إن بلاد بارق أحسن حظاً من غيرها في تهامة الباحة وعسير، فقد صدر عنها بعض الدراسات والبحوث المنشورة في هيئة كتب أو رسائل علمية أو بحوث في مجالات ثقافية أو أكاديمية، وما زالت أيضاً بحاجة إلى دراسات وبحوث نوعية في كثير من الجوانب التاريخية والأثرية والحضارية واللغوية والاجتماعية والثقافية.

(٢) تفصيلات رحلتي من بارق حتى دخول الأطراف الجنوبية لمحافظة المخوة تم حذفها في هذا الكتاب، وهي مطبوعة ومنشورة في كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض، مطابع الحميضي، ١٤٢٩هـ/٢٠١٨م)، ج١٢، ص٢٤٩ وما بعدها.

(٣) في الماضي قمت برحلة ميدانية في منطقة الباحة لمدة عشرة أيام في (٢٩/١١-١٢/٩/١٤٢٣هـ الموافق ١٥-٢٥/١٠/٢٠١٢م)، وزرت مناطق عديدة في تهامة وسروات هذه البلاد، ومن النواحي التي زرتها محافظتي المخوة وقلوة وبعض الأجزاء التابعة لهاتين المحافظتين، وللمزيد انظر، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٤هـ/٢٠١٣م) (الجزء الخامس)، ص١٥٩-٢٦٤. ومحافظتنا المخوة وقلوة لم تخدمنا بحثياً، ويوجد في منطقة الباحة عشرات الباحثين والدراسين وبعض المؤرخين إلا أنهم لم يخدموا بلادهم في ميدان الدراسة والبحوث التاريخية والحضارية والعلمية، وبلاد قلوة والمخوة من أكثر النواحي المنسية في ميدان الدراسات، ونأمل من جامعة الباحة أن تدعم وتشجع من يدرس أرض وسكان هذه الأوطان وغيرها من بلدان منطقة الباحة، وهذا أمر ضروري وواجب على الجامعة.

(٤) المصدر: مشاهدات الباحث. في الساعات الأولى من يوم الأحد (١٠/٤/١٤٢٧هـ).

أ. المخواة :

المخواة اسم لمحافظة واسعة الأرجاء في تهامة منطقة الباحة ، وتعد من المحافظات الرئيسية بعد محافظتي بلجرشي والمندق في السراة^(١). ويذكر أن المخواة سميت بهذا الاسم ، وسميت أيضاً ب (رزقة) و (الصيداء)^(٢) ، والمخواة هو الاسم الذي اشتهرت به منذ مئات السنين^(٣) .

وعند ذهابي من المثلث تجاه مدينة المخواة سرت في طريق مزدوج ، وشاهدت عليه العديد من المؤسسات الحكومية مثل : المستشفى العام ، وإدارة الضمان الاجتماعي ، والإدارة النسائية التابعة لإدارة تعليم المخواة ، وبعد عدة كيلومترات وجدت سوق الثلاثاء الشعبي بالمخواة ، وفيه عدد من السيارات الكبيرة والصغيرة التي تباع بعض الحبوب والأعلاف ، وذكر لي بعض التجار الذين قابلتهم في السوق أنه ينشط من عصر يوم الاثنين ويشتد نشاطه إلى مغرب يوم الثلاثاء. ويوجد في أطراف السوق بعض (الهناجر) الحديدية التي يستخدمها الباعة أثناء عرض بضائعهم ، كما يوجد على محيطه بعض الدكاكين المسلحة التي تعرض فيها تجارات عديدة خلال أيام الأسبوع. وواصلت سيري إلى وسط مدينة المخواة الحديثة فوجدتها تعج بالدكاكين التجارية المتنوعة في معروضاتها ، والعاملون في هذه المحلات من العمال الوافدين وأغلبهم من اليمن وبلاد الشرق مثل: الهند ، والباكستان ، وبنجلاديش ، وهناك عدد من المطاعم (والبوفيهات) ، وفيها عدد من السعوديين والعمال الوافدين الذين يتناولون بعض الأطعمة والأشربة . والملاحظ أن بعض السعوديين يجلسون مع بعض العمال ، وجلست قريباً من بعضهم لتناول بعض المشروبات ، فوجدتهم يتفاوضون ويتناقشون في بعض الأعمال التجارية والحرف المهنية^(٤). وقضيت ساعات عديدة أتجول في أرجاء المدينة ، والتقيت ببعض الإخوان

(١) للمزيد انظر تفصيلات عن منطقة الباحة في كتابنا : القول المكتوب في تاريخ الجنوب . الأجزاء (الخامس ، والسادس ، والثامن ، والعاشر ، والثاني عشر) .

(٢) يذكر أنها سميت المخواة لأن أهل وادي ضيان وراش في بلدة المخواة تصاحبوا (تخاؤوا) فسميت بهذا الاسم . أما رزقة : فهي ذات موقع استراتيجي لأنها تتوسط عدداً من النواحي ، والرزق والخير فيها كثيراً ، ومن يقصدها فإنه يسترزق من تجاراتها وخيراتها. واسم (صيداء) ، إذا كان إنسان له غريم أو ثأر عند أحد أقاربه فإنه يذهب إلى المخواة كي يصيد غريمه ، ويأخذ من ثأره . وتعرف أيضاً باسم (السر) ، لأنها مثل السر وسط الإنسان وذلك لتوسطها بين القرى والأودية . المصدر: هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان المخواة في ليلة الأحد (١٤٣٨/٤/١٠هـ) .

(٣) سوف يكون لنا حديث عن تاريخها وذكرها في بعض المصادر والوثائق في نهاية هذا البحث . ونأمل من إحدى بناتنا أو أحد أبنائنا في أقسام التاريخ بالجامعات السعودية ، والدارسين في برامج الدراسات العليا ، أن يدرس تاريخ حاضرة المخواة السياسي والحضاري خلال القرون الثلاثة الماضية ، وهو موضوع جديد ويستحق البحث والدراسة .

(٤) يكثر العمال الوافدون في كل مكان من البلدان التي مررت عليها في هذه الرحلة من بارق والمجاردة إلى المخواة ، إلا أنني شاهدتهم بكثرة في كل من المخواة والمجاردة ، وتراهم يتولون جميع الأنشطة التجارية والحرفية في أسواق هذه المدينة. وهذه ظاهرة تراها في جميع مدن وحواضر المملكة العربية السعودية . وأقول إنهم يربحون ويجنون أموالاً كثيرة من هذه الأعمال ، والأولى أن يعمل الشباب الوطني في هذه المهن الجيدة ، وللأسف نسمع عن البطالة العالية بينهم ، وهناك فرص عمل مربحة لكنهم لا يرغبون العمل فيها .

الذين قاموا بالسير معي إلى ربوع هذه الحاضرة ، ثم ذهب معي بعضهم إلى حاضرة قلوة التي تبعد عن المخوة (٣٥) كيلومتراً نحو الشمال ، ثم العودة في مساء الأحد إلى المخوة^(١). ومما سمعته وشاهدته في المخوة ما يأتي :

١. تقع مدينة المخوة على ضفاف وادي ضيان وراش ، ومناخها حار في الصيف معتدل في الشتاء ، وتتنوع تضاريسها بين الجبال والهضاب والأودية. ومن أهم جبالها شدا الأعلى وشدا الأسفل^(٢) ، وجبل شعران في الناحية الشرقية ، وجبل الجرف الذي تقع عليه بلدة المخوة القديمة ، وجبل القيد في الشمال الشرقي من المدينة ، وجبل نبايح في الجنوب الشرقي^(٣) . ومن الأودية : وادي راش الذي يمتد من أعالي عقبة الباحة نحو الجنوب، ووادي ضيان يمتد من الشرق إلى الغرب ، وتأتي منابعه من بلاد حزنة في سروات غامد ، ووادي بطاطا ويمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال ، ووادي سقامة بين المخوة وقلوة ، وهو إلى المخوة أقرب ، وأودية : ممنا ، ومنجل ، وهوران ، ومليل ، والملح . وبعض الأودية السابقة مثل: راش ، وضيان وغيرهما تلتقي جنوب المخوة عند قرية المشايعة ، ومن هناك يبدأ وادي الأحسبة الذي يصب في البحر شمال القنفذة^(٤) .
٢. يستوطن حاضرة المخوة عشائر بني عُمر بضرعيها الرئيسين العلي والأشاعيب^(٥) ، وهم سكانها منذ عصور قديمة^(٦) ، وفي العقود الماضية المتأخرة تغيرت التركيبة السكانية في هذه الناحية فاستوطنتها عناصر عربية أخرى من غامد وزهران وبعض العشائر في بلاد تهامة والسراة ، وهناك أفراد وأسرجات للعمل فيها من بعض بلدان المملكة العربية السعودية ، أو من دول عربية أخرى . كما يعيش في هذه الحاضرة اليوم أعداد غير قليلة من بلدان إسلامية وغير إسلامية مثل: الأتراك ، والهنود ، والباكستانيون ، والبنجاليون وغيرهم^(٧) .

(١) هناك عدد من الإخوان الكرام الذين استقبلوني في المخوة وساروا معي في أرجائها ، ثم ذهبوا معي إلى مدينة قلوة ، وهم: الدكتور عبد الرحمن الشعشاع ، والأساتذة موسى بن داود العمري ، وعبد العزيز محمد العمري، وعبد الرحمن حمياني، وعلي محمد عبد الهادي . وقال بنا في قلوة الأستاذ علي بن أحمد الهيمطي . فلهم مني جزيل الشكر والتقدير وأسأل الله أن لا يحرمهم أجر ما فعلوا وقدموا .

(٢) انظر تفصيلات عن هذين الجبلين في صفحات تالية من هذه الدراسة .

(٣) يوجد في حاضرة المخوة عدد من الجبال التي تستحق أن يفردها دراسة مستقلة تفصل تضاريسها ، ومواقعها وما يوجد فيها من النباتات والطيور والزواحف وغيرها .

(٤) لم تدرس هذه البلاد جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً وإقتصادياً وأثرياً ، ونأمل من جامعة الباحة أن تؤسس مراكز بحثية تهتم بهذه الأوطان في شتى الميادين ، وهي فعلاً تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة .

(٥) يقول بعض الرواة إن سكان بلدة المخوة قديماً من بني عُمر آل علي ، وفرع الأشاعيب هم الأكثرية في بني عمر ويستوطنون أماكن عديدة خارج قرية المخوة القديمة . هذا ما سمعه الباحث من بعض أعيان ووجهاء حاضرة المخوة في (١٠/٤/١٤٣٨هـ) .

(٦) لمزيد من التفصيلات عن قبائل منطقة الباحة في تهامة والسراة (زهران ، وغامد ، وبني عمر) انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية بلاد غامد وزهران ، للأستاذ علي بن صالح السلوك (الطبعة الثانية) (الرياض : منشورات دار اليمامة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) (٣١٢صفحة) ، انظر أيضاً ، فروع قبائل وقرى غامد وزهران وبني عمر . مجلة العرب ، السنة الخامسة ، ربيع الأول (١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، الجزء التاسع ، ص ٨٧٤ . ٨٧٩ .

(٧) غالبية هؤلاء السكان من الذكور ، وهناك عناصر نسائية محدودة من بلدان عربية وإسلامية وغير إسلامية يعملن في الخدمات المنزلية ، والتقطاعات الصحية وبعض المهن التجارية والحرفية مثل: المشاغل النسائية ، والمدارس الأهلية وغيرها .

٣. تتمتع مدينة المخواة اليوم بالكثير من الخدمات الحديثة، فجميع أبنيتها العامة والخاصة السكنية والتجارية مسلحة بالحديد والبلك، وتتراوح عمائرها من طابق واحد إلى خمسة وأحياناً إلى ستة وسبعة طوابق، والشارع العام الذي يخرج من مثلث المخواة المظليل إلى قرية ذات عين في عقبة الباحة^(١)، أو قلو، وهو الطريق الأكثر نشاطاً في الحركة الاقتصادية^(٢). وهناك قرى قديمة في هذه الحاضرة، بعضها مازالت آثارها باقية، والبعض الآخر تم إزالتها وحل بدلاً منها أحياء جديدة. ومن هذه القرى القديمة. قرية الجرف، وهي بلدة المخواة القديمة^(٣). وقرى الحواجر، والقزة، والطنانة جنوب وجنوب غرب المدينة. وقرى المدق، والمشايعة، والحوى في الجنوب الغربي، وقرى الأشاعيب في الشمال الشرقي^(٤). ومن أحياء مدينة المخواة الحديثة: حي الفيصلية غرب الطريق الرئيسي في المدينة، ويوجد فيه عمائر كبيرة، ويحتوي على عدد لا بأس به من المدارس وبعض الإدارات الحكومية. وحي الحذب غرب الطريق الذاهب من المثلث إلى عقبة الباحة، وفيه بعض المؤسسات الإدارية مثل: المحافظة، والبلدية، والشرطة، والمحكمة. وأحياء الخالدية، والقفيل، وسيال، والأخير يوجد به بعض أبنية فروع جامعة الباحة في المخواة^(٥).
٤. شاهدت بعض المساجد القديمة المندثرة في بلدة المخواة القديمة، وأصبحت غير صالحة للصلاة، وهناك عدد من الجوامع الكبيرة المجهزة بجميع الأدوات والخدمات، ومنها: مسجد الردحة وسط المدينة، وهو من أقدم المساجد، وحل محله جامع السوق، ومسجد الحدبة في وسط المدينة، غرب المستشفى القديم، ويعرف اليوم بجامع عمر بن الخطاب، وهو من أكبر الجوامع ويصلى فيه على الجنائز، ومسجد الزربة في السوق القديم وحل محله جامع خالد بن الوليد، ومسجد القزة وحل محله جامع القزة، وهو من أقدم الجوامع في المخواة، وجامع البخاري في حي الحواجر وهو أكبر وأحدث جوامع المخواة، وجامع حي الفيصلية، وجامع إمام الدعوة، وجامع أبو بكر الصديق^(٦).

- (١) قرية ذات عين من الأمكنة الأثرية الهامة في المملكة العربية السعودية، وهي غير مخدومة، ومسؤولياتها على إمارة الباحة، والهيئة العليا للسياحة، فالواجب على هاتين الجهتين أن تبدلا قصارى جهودهما تجاه هذا المعلم التاريخي والأثري، وهو جدير بذلك. للمزيد انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٥، ١٨٥.
- (٢) العمارة والطرق في محافظة المخواة جديرة بالدراسة، وتستحق أن تكون عناوين لبعض البحوث والرسائل العلمية.
- (٣) سوف نذكر عنها بعض التفاصيل في نهاية هذا البحث.
- (٤) قرى بني عمر الأشاعبة في المخواة، وجميع القرى التاريخية القديمة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث العلمية الموثقة.
- (٥) التاريخ الإداري والمالي لمحافظة المخواة من الموضوعات التي لم تدرس إطلاقاً، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً من أهلها، أو من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الباحة يدرس هذا العنوان دراسة علمية.
- (٦) هذا ما سمعته الباحث من بعض الخطباء والدعاة، وما تم حصره، ومن المؤكد أن هناك مساجد وجوامع أخرى في مدينة المخواة وفي القرى التابعة للمحافظة. وأقول إن تاريخ الدعوة وتاريخ المساجد في عموم المدن والمحافظة التي مررت بها في هذه الرحلة من بارق إلى قلو تستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والدراسات. ونأمل من أقسام التاريخ والشريعة وأصول الدين في جامعتي الملك خالد والباحة أن تفتح عدداً من مراكز البحوث التي تهتم بمثل هذه الموضوعات، وهذا من واجبات هذه المؤسسات العلمية والتعليمية.

٥. ترتبط حاضرة المخوة بطرق عديدة قديمة تتصل بأجزاء عديدة في تهامة والسراة مثل: قلوة، وسروات الباحة في غامد وزهران، والحجرة، وناوان، والقنفذة، والمظيلف^(١). واليوم هناك طرق حديثة تربط أجزاء المحافظة بعضها ببعض، وطرق داخلية مسفلتة تصل بين جميع الأحياء في المدينة.

أما الطرق الرئيسية التي تربط المخوة مع غيرها من البلدان، فهي (١) طريق جازان عسير ثم العرضيات إلى المخوة. (٢) طريق بلجرشي المخوة عبر وادي حزنة، وهناك عقبتان من المخوة إلى بلجرشي في السراة، الأولى عقبة حزنة عبر وادي ضيان، والثانية: من بلجرشي إلى بني دحيم ثم وادي ضيان. (٣) طريق من المخوة إلى قلوة والحجرة والشعراء. (٤) طريق من المخوة إلى ناوان ثم المظيلف، ويتفرع جنوباً إلى القنفذة، وشمالاً إلى مكة وجدة. (٥) طريق (عقبة) من المخوة مروراً بوادي راش إلى الباحة. كما عرفت المخوة بعض الأسواق الأسبوعية، وأهمها سوقها الشعبي القديم يوم الخميس^(٢)، وكان من أنشط الأسواق، ويعرف اليوم بسوق الثلاثاء، وما زال قائماً حتى الآن. وتكتظ المخوة اليوم بالعديد من السلع والأسواق الكبيرة والصغيرة الحديثة، ومن يذهب على طول الطريق الرئيسي في هذه المدينة فإنه سوف يجد جميع البضائع المستوردة من بلدان عديدة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، ومن أكبر هذه الأسواق الحديثة. سوق الراية، وسوق الحازمي، ومركز الحياة التجاري، وأسواق بن زرعة، والأسواق الحرة^(٣).

٦. لا تخلو حاضرة المخوة وما حولها من المناطق السياحية الطبيعية مثل: وادي سقامة شمال مدينة المخوة، وضاف وادي ضيان وراش، وقرية ذات عين، وجبلي شدا الأسفل والأعلى المطلان على المخوة وقلوة من الناحية الغربية. ولا يوجد داخل المخوة متنزهات أو حدائق من أعمال البلديات، وإنما هناك متنزهان كبيران بين قلوة والمخوة، وهما يقعان على مساحة كبيرة، ومخدومان بالعديد من الخدمات مثل: دورات المياه، وبعض الألعاب، وممرات للمشى والرياضة، والأشجار ومسطحات خضراء^(٤).

(١) تعد المخوة من البلدان الغنية بالزراعة، والأسواق التجارية، فكانت حلقة وصل بين الأجزاء السروية والتهامية الساحلية، وبعض البلدان المجاورة في تهامة زهران والعرضيات وعسير وغيرها. ودراسة التاريخ الاقتصادي للمخوة من الموضوعات الجديدة ويستحق أن يكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية أكاديمية. وتاريخ الطرق القديمة والحديثة في محافظتي المخوة وقلوة من الموضوعات الجديدة في أبوابها، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها خلال القرن (٢٠/١٤م).

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض رجالات المخوة، ويوجد ذكر لهذا السوق في بعض الوثائق والمصادر التي يعود تاريخها إلى القرنين الماضيين. ومن أهم السلع التي كانت تصدر من القنفذة إلى سوق الخميس بالمخوة: الملح، والتمور، والأقمشة، وبلغت أخرى عديدة تصدر من الحجاز واليمن إلى القنفذة. كما يصدر إلى هذا السوق بعض السلع السروات مثل: اللوز، والفسل، والسمن، وبعض الحبوب والمحاصيل السروية. ودراسة تاريخ الأسواق الأسبوعية في محافظتي المخوة وقلوة من العناوين الجديدة التي لم تدرس وتستحق أن تكون عناوين لرسائل ماجستير أو دكتوراه.

(٣) ذهبت إلى بعض هذه الأسواق فوجدتها تشتمل على أنواع وأشكال عديدة من الألبسة، والأطعمة، والأثاث، وأدوات أخرى متنوعة. كما وجدت العاملين فيها من الوافدين وبعض السعوديين والسعوديات. ومدينة المخوة تعد من المدن الكبيرة والرئيسية في تهامة الباحة وما جاورها.

(٤) مازالت مدينة المخوة غير منظمة في أحيائها وشوارعها، فهناك عقبات في مداخل ووسط المدينة، وهي بحاجة إلى شبكة طرق أوسع وأفضل. كما تحتاج إلى فتح طرق كبيرة تدخل وتخرج وتحيط بالمدينة. وقد ذكرت ذلك لبعض رجالات المخوة من معلمين ومتقنين، وكذلك أوصلت هذا الاقتراح إلى محافظ المحافظة وبعض وجهاء البلد.

٧. عرفت المخواة بعض الكتابيب المحدودة خلال القرن (١٣هـ/١٩م) والعقود الأولى من القرن (١٤هـ/٢٠م)، وهذا ما سمعناه من بعض الرواة في مدينة المخواة وما حولها، وكذلك العثور على بعض الوثائق التي تشير إلى بعض الأعلام اليمنيين الذين كانوا يجتازون هذه البلاد أثناء خروجهم من اليمن لأداء مناسك الحج، ومنهم من يتوقف في بعض المحطات لتعليم الناس القراءة والكتابة، وشيء من القرآن الكريم^(١). بدأ التعليم النظامي في المخواة في بداية السبعينيات، وأول مدرسة فتحت في عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م). ثم تزايدت عدد المدارس حتى أصبح عددها اليوم (٣٥٤) مدرسة ابتدائية / ومتوسطة / وثانوية للجنسين (بنين وبنات)، وعدد من رياض الأطفال، وإجمالي عدد الفصول (١٧٨٥) فصلاً، يدرس فيها حوالي (٢٧٥٧٧) طالباً وطالبة، موزعون على أربعة قطاعات: المخواة، وقلوة، وغامد الزناد، والحجرة، ويشرف عليها إدارة تعليم المخواة^(٢). وافتتحت جامعة الباحة كلية العلوم والآداب في المخواة، وفيها بعض التخصصات العلمية والأدبية. وقد زرت تلك الكلية فوجدتها متواضعة في إمكاناتها وموقعها وخدماتها الإدارية والتعليمية^(٣).

أما النشاطات الثقافية والفكرية والدعوية فتمارس في المدارس ضمن برامج الأنشطة الطلابية، وفي المساجد وبعض المراكز الدعوية المؤقتة التي تقام أثناء فصل الشتاء، ويأتي من داخل منطقة الباحة وخارجها من يقدم المواعظ والدروس الدينية والثقافية في هذه التجمعات أو في جوامع المحافظة، ومكتب الدعوة والإرشاد في المخواة يقوم بالدعوة والتنظيم لمثل هذه الأنشطة الثقافية والفكرية والدعوية. وذكر لي أثناء وجودي في المخواة أن نادي الباحة الأدبي اعتمد إنشاء لجنة ثقافية في مدينة المخواة، ومن مهام هذه اللجنة عقد الأمسيات الشعرية، وإلقاء بعض المحاضرات الثقافية، وقراءة بعض الروايات والقصص الأدبية^(٤).

(١) بعض المعلمين اليمنيين كانوا يتوقفون في بلدات وقرى من تهامة والسرارة أثناء ذهابهم للحج، ويقومون على تعليم بعض العلوم اللغوية والشعرية، ويحصلون على أجور قليلة مثل الحبوب وبعض الألبسة أو النقود. وأيضاً قرب المخواة من القنفذة وبعض حواضر السرارة مثل بلجرشي وغيرها جعل بعض الدعاة أو المعلمين يفتنون إلى المخواة لتدريس أبنائهم وبناتهم وإمامتهم في الصلاة وقضاء حوائجهم الدينية مثل: تقسيم الموارث، وعقد الأكلحة، وخطب الجمعة وغيرها.

(٢) لم نجد تعليم أهلياً واسعاً ما عدا روضتين ومدرستين ابتدائيتين للبنات. وأقول إن تاريخ التعليم العام الحديث في محافظات المخواة، وقلوة، والحجرة من الموضوعات الجديدة التي لم تدرس، ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه. ونأمل أن نرى أحد أبناء هذه المحافظات يتخذ من هذا الموضوع عنواناً لكتاب أو رسالة علمية. المصدر: أوراق وإحصائيات عديدة وصلتني من الأستاذ عبد الله عبد الهادي العمري، رئيس التخطيط المدرسي في إدارة تعليم المخواة، وهذه الأوراق توجد ضمن وثائق مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية.

(٣) تجولت في أمكنة عديدة من تهامة والسيرارة خلال الخمس سنوات الماضية، وشاهدت بعض النواحي تعاني من عدم وجود أقسام أو كليات جامعية، وأحياناً توجد فيها كلية أو كليتان فيها بعض الأقسام الأكاديمية المحدودة والجودة فيها ضعيفة لنقص الإمكانيات الضرورية. وتدني مستوى المكتبات والمختبرات التي يحتاجها الطلاب والأساتذة في إنجاز أعمالهم. وأستطيع القول بأن هذا النوع من التعليم العالي لا يختلف كثيراً في المستوى عن التعليم العام.

(٤) نأمل من أحد أبناء محافظة المخواة أن يدرس النشاطات الثقافية والفكرية في هذه الناحية منذ نهاية القرن (١٤هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر، ويحرص على جمع وتدوين النشاطات التي قدمها المعلمون الوافدون من بلدان عربية أثناء عملهم في مهنة التدريس في أنحاء المحافظة. والمؤكد أن هناك أساتذة وأعلاماً كان لهم إسهامات

ب- قلوة :

اسم قلوة جاء من القلي، وهو شوي الشيء، فيقال: قليت الحب أو اللحم أي أنضجته، وربما سميت بهذا الاسم لشدة حرها أثناء فصل الصيف. ويقال أيضاً أن القلا: أي البغض والكراهية، فارتفاع حرارة الجو في الصيف جعل الناس يكرهون الإقامة فيها. وربما نسبتها إلى مكان اسمه قلوة، أو إلى شخص يدعى قلوي أو القلوي، أو القالي^(١). وتبعد مدينة قلوة عن المخواة شمالاً نحو (٣٠-٤٠) كيلومتر، وتقع بين ثلاثة جبال رئيسية: شد الأعلى في الجنوب، وجبل نيس في الشمال، وجبل ربا في الناحية الشمالية الغربية، ومساحتها تقريباً (٥×٣) كيلومترات، ويعبرها شارع مزدوج من الشمال إلى الجنوب، ويقدر عرضه بـ (٤٠) متراً، ويطلق عليه شارع الملك فهد، وشوارع أخرى صغيرة تتفرع من هذا الشارع الكبيرة، وبعضها مزدوجة وأخرى ذات اتجاه واحد^(٢). ومعظم سكانها الرئيسيين من قبائل زهران، ومن العشائر التي تستوطنها، عشيرة قلوة، وعشيرة الأحلاف، وفي أجزاء من محافظة قلوة عشائر تتبع بعض القبائل الزهرانية في السراة^(٣). كما يوجد في مدينة قلوة العديد من الأجناس العربية وغير العربية الذين يعملون في مهن وحرف اجتماعية واقتصادية وسياحية عديدة^(٤). ويعيش فيها أفراد وأسرة عربية سعودية جاءت من أمكنة عديدة في جنوب البلاد السعودية وغيرها للعمل والإقامة، وأكثر من يستوطنها من هذه الشريحة قبائل غامد وزهران وبني عمر، وذلك لقبهم من هذه البلدة، ولصلاتهم النسبية والعرقية مع سكانها الأصليين^(٥).

ويبدو أن مدينة قلوة أفضل من مدينة المخواة في تنظيمها وتخطيطها، فيوجد فيها وعلى مقربة منها بعض الحدائق والمنتزهات الجميلة، ومنازلها وشوارعها ومرافقها في

علمية وثقافية وأدبية وفكرية، وجمع مادة هذا المحور من الرواة والطلاب والرجال الذين عاصروا تلك الحقبة الممتدة من سبعينيات القرن الهجري الماضي إلى عشرينيات هذا القرن.

(١) هذه اجتهادات من الباحث، وقد سألت في محافظة قلوة عن سبب التسمية فلم يفدني أحد بالسبب الصحيح لهذه التسمية، وقد يكون عند بعض رجالها تعريف دقيق وصحيح، وأمل أن نرى باحثين جادين من أهل قلوة يقومون على دراسة تاريخها وأنسب سكانها وحضارتها. ولمزيد من التفصيلات عن كلمة القلي أو القلوي انظر فعل (قلا) في معجم لسان العرب لابن منظور.

(٢) مشاهدات الباحث مساء الأحد (١٠/٤/١٤٢٨هـ).

(٣) محافظة قلوة كبيرة المساحة، وزيارتنا اقتصرنا على مدينة قلوة التي هي مركز المحافظة، وقد زرت هذه المحافظة وكتبت عن شيء من جغرافيتها وتاريخها في (٢٩/١١-٩/١٢/١٤٢٣هـ)، انظر كتابنا: القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص ١٦٠ وما بعدها.

(٤) العناصر العربية وغير العربية الوافدة إلى المملكة العربية السعودية يوجدون في جميع مدن وقرى البلاد، وهم مقيمون مؤقتون في وظائفهم وأعمالهم، وعند الانتهاء يعودون إلى أوطانهم.

(٥) قبائل زهران، وغامد، وبني عمر في تهامة والسراة متدخلون في البلاد، وفي الأنساب وفي الصلات الثقافية والاجتماعية والجغرافية. وهذه القبائل الثلاث تستحق أن يصدر عنها عشرات البحوث والكتب والدراسات التاريخية والحضارية والاجتماعية واللغوية والثقافية وجامعة الباحثة عليها مسؤولية كبيرة لدعم وتشجيع مثل هذه الموضوعات والبحوث العلمية.

وضع أحسن مما رأيت في مدينة المخواة ، والواضح أن بلدية قلوّة لديها رؤيا وحسن تدبير في تخطيط المدينة ونظافتها وتنظيمها. والمنازل العامة والخاصة في المدينة تتراوح من دور واحد إلى أربعة أو خمسة أدوار ، ومدينة قلوّة أصغر مساحة من مدينة المخواة، وذكر لي أنها أقدم الإدارات الحكومية في تهامة غامد وزهران في العصر الحديث ، ويوجد فيها اليوم معظم المؤسسات الحكومية وبعض الإدارات الأهلية مثل: البنوك التجارية ، وبعض المستوصفات الخاصة^(١). ورأيت فيها عدداً من المساجد والجوامع الكبيرة مثل: جامع الملك خالد ، وجامع ابن عثيمين ، وجامع المنح، وجامع الخليف، وتقع جميعها شمال المدينة، وجامعي الملك فهد ، والسوق الشعبي وسط المدينة ، وجامعي بن باز ، وضبيعة في جنوب المدينة^(٢).

ويذكر لنا علي أحمد الهيمطي^(٣) أن أول سيارة دخلت إلى قلوّة كانت في بداية السبعينيات^(٤)، ثم تسير إلى بلدي المخواة والحجرة. والطرق الرئيسية التي تربط قلوّة مع غيرها من البلدان المجاورة. (١) طريق قلوّة المخواة. (٢) طريق قلوّة حفار، وحفار مركز إداري على الساحل بين القنفذة والليث. (٣) طريق قلوّة الحجرة ثم يسير إلى الشعراء وإلى الشاقة الجنوبية التابعة لمحافظة الليث. (٤) طريق من قلوّة إلى الباحة في السراة عبر عقبة الملك خالد^(٥).

ومن الأسواق الأسبوعية في مدينة قلوّة وما جاورها من المراكز والنواحي. (١) سوق الثلاثاء في بلدة قلوّة، ويعمل يوم الاثنين ويعرف بالثلاثاء، والسبب أن سوق المخواة يعمل الثلاثاء، وكان يقام يوم الخميس، لهذا رأى أهل قلوّة أن يعقد سوقهم يوم الاثنين حتى لا يتضارب زمنيًا مع سوق الثلاثاء في المخواة. (٢) سوق خميس الشعراء في مدينة الشعراء، وما زال قائماً حتى الآن. (٣) سوق الأحد في مدينة الحجرة، ويعمل حتى اليوم^(١)، (٤) سوق السبت في الرميضة ويتبع محافظة قلوّة، وهو حديث النشأة. أما الأسواق الحديثة في مدينة

(١) مقابلة شخصية مع الأستاذ علي أحمد الهيمطي في منزله بمدينة قلوّة مساء الأحد (١٠/٤/١٤٢٨هـ).

(٢) مشاهدات الباحث عصر الأحد (١٠/٤/١٤٢٨هـ).

(٣) أحد أعيان ووجهاء مدينة قلوّة ومن المعلمين الأوائل في هذه المحافظة، وله سيرة ذاتية من تدوينه نشرها في كتاب بعنوان: هذه سيرتي، ولا يوجد عليه معلومات للنشر، ويقع في (١٤٥) صفحة من القطع الصغير، ونسخة من هذا الكتاب في مكتبة الباحث.

(٤) المصدر نفسه، كما أجريت مع الهيمطي مقابلة بمنزله في مدينة قلوّة يوم الأحد (١٠/٤/١٤٢٨هـ).

(٥) اسم هذا الطريق سابقاً، عقبة مساعد، نسبة إلى مساعد بن رفوش، أحد شيوخ زهران في القرن (١٤هـ/٢٠م)، وتسير من ديار عشائر بيضان في السراة حتى تصل إلى أعالي وادي دوقة، ومنه إلى مدينة قلوّة، وهي غير مستخدمة في الوقت الحاضر. انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص ٢١٥. وأقول إن الطرق والعقبات في بلاد غامد وزهران وبني عمر تهامة وسراة تستحق أن يصدر عنها عدد من البحوث والدراسات العلمية الموثقة، ونأمل من بعض أساتذة جامعة الباحة أن يدرسوا مثل هذه الموضوعات الجيدة والجديدة في بابها.

(٦) زرت هذا السوق وكتبت عنه أثناء زيارتي لمنطقة الباحة في (٢٩/١١-١٢/٩/١٤٢٢هـ)، وهو من الأسواق التاريخية القديمة، للمزيد انظر، غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الجزء الخامس)، ص ١٨٢.

قلوة فهي منتشرة في أنحاء المدينة وتتفاوت في الأحجام والسلع، ومن أكبرها: مركز العائلة ومعظم سلعه مواد غذائية وسلع أخرى ضرورية، وسوق (مول) الرواد، ومجمعات ابن مستور، والهيمطي، وسياتي مول، ومعظم المعروضات في هذه الأسواق ألبسة وأدوات للزينة^(١).

يتحدث بعض الراوة عن التعليم في قلوة، ويذكرون أسماء بعض المعلمين القدماء الذين مارسوا القراءة والكتابة قبل السبعينيات، وكانوا على قدر بسيط من المعرفة، وأحياناً يخلطون بين ممارسة الشغوفة والتعليم^(٢)، ثم افتتحت أول مدرسة في بلدة قلوة عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، وفي تلك المدرسة معلم واحد، يدعى حسين بن محمد بن خماش العمري، يقوم على تدريس الطلاب صباحاً ومساءً، واستمرت هذه المدرسة إلى عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، وتخرج فيها خمسة طلاب، وعُيّن منهم ثلاثة معلمين، اثنان في المدرسة نفسها، وهما: عبد الخالق بن مستور، ومستور بن أحمد. والثالث يحيى بلقرون الذي صار معلماً في دوقة الأحلاف^(٣). وفي السبعينيات أيضاً وصلت إلى المنطقة جهود الشيخ القرعاوي الذي نشر الكثير من كتابتيه ومدارسه في بلدان عديدة من تهامة والسرارة^(٤). وفي عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) توقفت مدرسة قلوة حتى عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ثم افتتحت المدرسة مرة أخرى، وتلاها فتح مدارس عديدة للبنين والبنات، حتى أصبح التعليم العام منتشراً في جميع قرى محافظة قلوة. وافتتحت أيضاً بعض الأقسام العلمية الجامعية في كلية العلوم والآداب في قلوة، ويوجد موقع جديد لكلية التقنية، ومدرسة واحدة محدودة للتعليم الأهلي^(٥).

٢- الشدوان الأسفل والأعلى:

جبل شدا الأسفل والأعلى من أطول جبال المملكة العربية السعودية، ويقعان في محيط محافظتي المخوة وقلوة^(٦)، وهما إلى الأولى أقرب. وفي يوم الاثنين (١١/٤/١٤٣٨هـ الموافق

- (١) تاريخ التجارة والأسواق في محافظة قلوة من الموضوعات الجديدة وتستحق أن يصدر عنها دراسة علمية موثقة.
- (٢) ممارسة الكهانة والشغوفة منتشرة في بعض بلدان وقرى تهامة والسرارة، سمعت ذلك وقرأت عنه أثناء تجوالي في أوطان هذه البلاد منذ بداية القرن (١٥هـ/٢٠م). وهذا الميدان يستحق البحث والدراسة، ونأمل من الباحثين والمؤرخين الجادين في البلاد السربية والتهامية أن يدرسوا مثل هذا الموضوع الشائك والمهم للبحث.
- (٣) تاريخ التعليم خلال القرن (١٤هـ/٢٠م)، وبداية هذا القرن (١٥هـ/٢٠م) من الموضوعات التي لم تدرس ويستحق أن يكون عنواناً لرسالة أو بحث علمي.
- (٤) للمزيد عن جهود الشيخ عبد الله القرعاوي في جنوبي البلاد السعودية خلال النصف الثاني من القرن الهجري الماضي (١٤هـ/٢٠م)، انظر: غيثان بن جريس. تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٨٦-١٣٥٤هـ/١٩٦٦-١٩٣٤م) (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م). (الجزء الأول) ص ٢٦٠ وما بعدها.
- (٥) قلوة مدينة تهامية قديمة حديثة، ولها تاريخ إداري وحضاري واجتماعي واقتصادي وتستحق أن يفرّد لها عدد من الدراسات التاريخية والآثرية والحضارية. ونأمل من أبنائها، وبخاصة الباحثين وأساتذة الجامعات، أن يدرسوا يلادهم ويخدموا أهلهم، وهذا من الواجب عليهم تجاه أوطانهم وذويهم.
- (٦) ارتفاع جبل شدا الأسفل (١٧٠٠م)، وجبل شدا الأعلى (٢٢٠٠م) فوق سطح البحر. هذا ما سمعه الباحث من بعض الدارسين والباحثين في محافظة المخوة.

٩/يناير/٢٠١٧م) رافقني الصديق الدكتور/ عبد الرحمن الشعشاع^(١)، وبعض الإخوان من مدينة المخوة في رحلة إل جبلي شدا^(٢)، وقضينا ذلك اليوم نتأمل التركيبة الجغرافية السكانية لهذين الجبلين . فالجبلان ذوا حزون وصخور ومسالك صعبة، وهما مأهولان بالسكان منذ القدم^(٣)، وسكان شدا الأسفل يعودون في نسبهم وولائهم إلى عشيرة بني عبد الله الغامدية السروية، وكذلك الجزء الجنوبي من شدا الأعلى، أما الجزء الشمالي من شدا الأعلى فأهله من زهران . ومناخهما بارد في الشتاء، معتدل صيفا، وفيهما عشرات الأنواع من النباتات، وأنواع عديدة من الطيور والحيوانات^(٤). ويشرفان على قرى ومدن من الأراضي التهامية، فمن الشرق يطلان على وادي سقامة وأجزاء من حاضرة المخوة، ومن الغرب على بلدان نيرا وناوان، ومن الجنوب على بعض أودية ونواح من المخوة، ومن الشمال على وادي يحر وأجزاء أخرى من محافظة قنوة^(٥). وأثناء جولتي القصيرة في هذين الجبلين^(٦)، خرجت ببعض الصور التاريخية الحضارية التي شاهدها وسمعتها، واذكر أهمها في النقاط الآتية:

١. مررت من حول هذين العلمين مرات عديدة خلال الأربعين عاما الماضية، ولم أتمكن من صعودهما، وسمعت أنهما يحتويان على الكثير من الرسومات الصخرية، وعندما ذهبت إليهما شاهدت نقوشا عديدة على بعض الصخور، ورسومات آدمية وحيوانية يعود تاريخها إلى آلاف السنين قبل الإسلام، وسألت بعض من رافقني عن هذه الآثار، هل اكتشفت ودرست؟ فقالوا لقد زارها عدد من الباحثين العرب والأجانب، وخرج عنها بعض الدراسات المحدودة. وأقول إن طبيعة هذين المكانين وما يحتويان عليه من مصادر تاريخية منقوشة على صخورها تستحق أن يسخر لها المال والعلماء الجادون والمنصفون حتى يدرسوا ما تشتمل عليه من موروث حضاري.

٢. سرنا في طريق مسفلت في أجزاء من الجبلين، وأخبرني أحد الرفاق أن المسافة من المخوة إلى أعلى قرية في شدا الأعلى حوالي (٢٤) كيلومترا، وصعدنا بعد انتهاء

(١) ابن الشعشاع من أهل بيشة، أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها في كلية العلوم والآداب في محافظة المخوة، عرفته منذ أكثر من عشر سنوات عندما كان يدرس لدرجة الدكتوراه في الجامعة الإسلامية بالمدينة. وهو شخص لطيف المعشر، على قدر كبير من الأخلاق والأدب.

(٢) من أولئك الأصحاب، الأساتذة علي محمد عبد الهادي الغامدي، وناصر الشدوي، كما التقينا في أعلى شدا الأسفل بإخوان آخرين وكان معهم العم حسين بن حسن بن ضيف الله الشدوي الغامدي، الذي استضافنا لوجبة الغداء، وأفادنا بمعلومات كثيرة، وعمره يتجاوز (٧٥) عاما.

(٣) الشيدوان المذكوران في بعض المصادر التاريخية والحضارية المبكرة، قال فيها بعض الأدباء قديماً وحديثاً شعراً ونثراً. وتتبع تاريخ وحضارة هذين الجبلين من العهد القديم إلى اليوم من الموضوعات التي تستحق أن تكون عنواناً لكتاب أو رسالة علمية، ونأمل أن نرى أحد المؤرخين الجادين يكتب عن تاريخهما وذكرهما في النقوش والآثار والمصادر التقليدية.

(٤) يذكر أن في هذين الجبلين الكثير من النباتات والحيوانات النادرة، وبعضها انقرض في العقود الماضية.

(٥) هذا ما شاهدناه من أعالي الجبلين في (١١/٤/١٤٢٨هـ).

(٦) استغرقت رحلتنا في هذين الجبلين حوالي عشر ساعات وهي غير كافية لدراسة تراثهما وجمع موروثهما العلمي والحضاري.

الأسفلت في طريق صعبة ، ولا يسير فيها إلا سيارات قوية ذات دفع رباعي. وصعود شدا الأسفل أسهل من شدا الأعلى الذي يتكون من قمتين، إحداهما في الناحية الشرقية وهي وعره ويصعب تسلقها ، والقمة الأخرى غربا، وهي أكثر ارتفاعا لكن الصعود إليها أسهل . ويطلق على القمة الشرقية (القارة) ، والقمة الثانية (مصلى إبراهيم)^(١).

وقال أحد الرواة إن تمهيد الطريق من أسفل هذين الجبلين ، حتى أصبحت صالحة للاستخدام بالدواب، بدأ عام (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)^(٢) ، وفي حوزتنا بعض الوثائق التي تؤكد هذه الرواية ، وتشير إلى أسماء بعض العمال الذين شاركوا في فتح تلك الطريق في عامي (١٣٨٦هـ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م ، ١٩٦٨م)^(٣) . وواصل المواطنون الشدويون فتح طرق ترابية على حسابهم الخاص من ثلاث جهات للجبلين ، وفي عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) استلمت وزارة المواصلات هذه الطرق للإشراف عليها وصيانتها ، ومنذ بداية العشرينيات من القرن (١٥هـ/٢٠م) تم سفلتة الجزء الشمالي من شدا الأعلى ، وسفلتة حوالي عشرة كيلومترات من شدا الأسفل ، وبقي الجزء الجنوبي من شدا الأسفل غير مسفلت ، وما زالت المطالبات في سفلتته جارية حتى الآن^(٤).

٣. هذان الجبلان مأهولان بالسكان^(٥) ، وفيهما أنماط معمارية عديدة . ففي شدا الأعلى عدد من القرى مثل: قرية الكبسة وفيها مواقع سياحية جميلة يرتادها السياح للتزهر والتسلق، وقرية السلاطين وتتكون من ثلاثة أقسام: فرعة السلاطين ، والغمار، وبجاد . وفي الغمار فتحت أول مدرسة ابتدائية عام (١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ، ومدرسة بنات عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) . وقرية الملايح وتشتمل على ثلاث قرى صغيرة هي: فرعة الملايح ، واللحن ، وقرن. وهذه القرى ملاصقة لمصلى إبراهيم ، وجبل القارة ، وتشتهر بزراعة البن والموز. وقرية المساعدة ، وكان يوجد فيها الطبيب الشعبي لعموم

(١) مساحة هذا المصلى حوالي (٢٣×٢)م ، ويتداول الناس رواية أن المقصود ب(إبراهيم) ، هو إبراهيم بن أدهم، وهو قول غير دقيق ، ومن المحتمل أن نسبة هذا المصلى إلى رجل صالح يدعى إبراهيم ، وربما يكون من أهل البلاد، أو من الحجاج الذين كانوا يأتون من جنوب شبه الجزيرة العربية عابرين بلاد تهامة إلى مكة والمدينة المنورة.

(٢) هذا ما سمعه الباحث من بعض رفاقه وأكد ذلك علي بن عبد الله الشدوي الغامدي من أهل شدا الأعلى في (١١/٤/١٤٢٨هـ) .

(٣) بعض هذه الوثائق في مكتبة د.غيثان بن جريس العلمية ، الوثائق العامة ، وثائق القرن (١٤هـ/٢٠م) ، ج٨٢، ص ١١٠-١١١. وقد حصل على عدد من الوثائق غير المنشورة من مدينتي المخوة وقلوة وبعض رجالات جبلي شدا ، وسوف ندرسها مستقبلا ونخرجها في دراسة مستقلة .

(٤) المصادر نفسها . طرق شدا المسفلتة محدودة على الأجزاء السفلى من هذين الجبلين ، وما زالت الأجزاء العلوية غير مسفلتة، والواجب على وزارة المواصلات ، والهيئة العليا للسياحة ، أن تضاعف الجهود لتسهيل طرق هذين الجبلين وسفلتتها ، حتى تكون من المعالم السياحية المشهورة والمرتادة من سياح الداخل والخارج .

(٥) كانت هذه الجبال مأهولة بسكانها قديماً ، واليوم هجرها أكثرهم ونزلوا إلى المخوة وإلى مدن ونواحي عديدة في المملكة العربية السعودية . وما زال بعضهم يسكنها حتى الآن ، ومنهم من يستوطن المخوة أو قلوة إلا أنهم يترددون عليها في الإجازات وبعض أيام الأسبوع . كما يوجد فيها الآن بعض العمال الوافدين من اليمن أو الهند والبنجلاديش الذين يعملون في خدمة بعض سكانها مقابل أجور شهرية .

جبل شدا الأعلى ويدعي (أحمد الفقيه)^(١). وقرية لهن ، وهي من أفضل قرى الجبل انبساطاً ، ويوجد فيها بعض المزروعات، وقرى أخرى في أسفل الجبل مثل: مليل، والأحد بالقفرة . وتتراوح أسر هذه القرى قديماً من (٣٠-٤٠) أسرة، وحالياً من (٥-١٥) أسرة ، وسبب هذا التناقص هجرة معظم الأسر من الجبل إلى مدينتي قلوة والمخوة وإلى حواضر أخرى في المملكة ، لقلة مظاهر التطور والتنمية في هذا الجبل، ولتحسين أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية . ومن قرى شدا أسفل الطرف ، وآل ساحة ، والنمرة ، والروس ، والفرع وهي أكبرها ويوجد فيها بعض المؤسسات الإدارية ، وبها حوالي (٤٠-٥٠) أسرة ، وقرية الحلووق وهي أصغرهما فلا يوجد بها إلا حوالي خمسة منازل^(٢) . ومنازل أهل شدا القديمة مشيدة بالحجارة والطين ، وتتراوح مساحاتها من غرفة إلى أربع أو خمس غرف ، حسب إمكانيات أهلها ، واليوم قام بعض السكان بإنشاء منازل مسلحة تتكون من طابق أو طابقين ، وكل طابق يتكون من عدة غرف. وتوجد الكهوف في جبلي شدا وبخاصة شدا الأسفل ، وصار بعضهم يشيد الكهوف ويوسعها ويزوقها ، ويخدمها بالماء والكهرباء حتى أصبحت مجالس صخرية جميلة ، وقد استقبلنا العم حسين بن حسن بن ضيف الله الشدوي في كهف بشدا الأسفل تزيد مساحته عن (٢١٠٠م^٢) ، وأخبرني أن هناك من يمتلك كهوفاً أصغر وأكبر من هذه المساحة ، وهذه من المعالم السياحية التي يتميز بها جبلا شدا . ويتبع قرى شدا قديماً وحديثاً بعض المرافق المعمارية المهمة مثل: الآبار ، والمقابر، وفي بعض القرى مساجد كبيرة لصلاة الجمعة ، وأسواق أسبوعية^(٣) .

٤. يذكر أن أهالي شدا كانوا يمارسون عبادتهم في منازلهم ومساجدهم ، ويأتيهم أحياناً من يعلمهم أمور دينهم في المخوة أو في قراهم الرئيسية في الجبل. ومن أولئك المعلمين والدعاة في القرن (١٤هـ/٢٠م) الشيخان علي بن مغرم الغامدي، وإبراهيم بن مسلم

(١) عاش أحمد الفقيه في هذه الناحية ، ومارس بعض النشاطات الدعوية مثل : إمامة الناس في الصلاة ، ومعالجتهم بالقرآن ، وتوفي في العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) . مقابلة مع علي بن عبد الله الشدوي الغامدي في إدارة تعليم المخوة في (١١/٤/١٤٢٨هـ) . وعلي الغامدي من مواليد قرية السلاطين في جبل شدا الأعلى عام (١٢٨٧هـ/١٩٦٧م) . درس مراحل التعليم الأولى بالمخوة وحصل على درجة البكالوريوس في الفيزياء من جامعة الملك عبد العزيز ، ويعمل حالياً رئيساً لقسم النشاط الطلابي بتعليم المخوة ، وأيضاً أميناً عاماً للجنة الخطة الاستراتيجية لتطوير محافظة المخوة .

(٢) مقابلة مع حسين بن حسن بن ضيف الله الشدوي الغامدي في (١١/٤/١٤٢٨هـ) . وهو من أهل شدا الأسفل ، ومازال يقضي معظم أوقاته في قريته ومسقط رأسه في شدا .

(٣) جبلا شدا ذوا تاريخ وحضارة إنسانية ، ففي الماضي البعيد والقريب يتضح لنا الكثير من البراهين والشواهد التي تؤكد صحة الحياة البشرية النشطة فيهم . أما في عصر التطور والتنمية الحضارية التي تعيشها البلاد السعودية اليوم فالحياة في هذين الجبلين شاقّة جداً حتى وإن كان مازال فيها أناس يستوطنونهما ، وعندهم بعض الخدمات الإدارية والتعليم والصحية . وأكبر مشكلة تعاني منها هذه الجبال وأهلها هو وعورة تضاريسها التي لا تساعد على العيش فيها بسهولة ويسر . وتحويل هذين الجبلين إلى مناطق سياحية اقتصادية قد يكون مجدياً إلى حد ما لو وجدت خدمات صادقة توفر الراحة والاستجمام للزوار والسياح .

من سكان حزنه غرب سروات بلجرشي، وأحمد وسعيد أبناء فرحة من أهل شدا، اللذان تعلموا على يد هذين الشيخين السابقين، ثم قاما بنشر المعرفة والعلم الشرعي بين أهلهم من سكان شدا الأسفل. وفي الثمانينيات من القرن الهجري الماضي افتتحت مدارس نظامية في الشدوين، وكان كثير من طلاب تلك المدارس متفوقين على مستوى منطقة القنفذة، بل إن بعضهم كانوا من الأوائل على مستوى المملكة العربية السعودية^(١).

ومن الأشخاص الذين عملوا في مهنة التعليم قبل وبعد نشأة المدارس النظامية الأساتذة: أحمد بن عيفان الغامدي ووالده من قبله، وعبد الله بن أحمد الغامدي^(٢)، وأحمد بن معيض الغامدي، ومحمد أحمد الغامدي، وعلي الغامدي من فرعة غامد، وسعيد بن محمد صمان من المخوة، وبعض المعلمين من نيرا مثل: سعيد بن محمد بن صالح، وسعيد أحمد غرابان، ومحمد حسن ربيع^(٣). ويذكر أن بعض سكان الشدوين ترقوا في التعليم حتى صار منهم اليوم أساتذة في تخصصات عديدة، ومن بناتهم وأبنائهم من يحمل درجات عالية كالبكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، ومنهم من تدرج في سلم الوظائف الإدارية والمالية والعسكرية والمدنية^(٤).

٣. مشاهدات عامة :

في ختام هذه الرحلة، لا أدعي أنني سجلت كل ما يستحق الدراسة والتدوين في هذه البلاد الواسعة من بارق إلى قلوة، ولكني إخال أنني أشرت إلى نقاط علمية رئيسية تستحق البحث والدراسة المستفيضة من بناتها وأبنائها المتعلمين الحريصين على حفظ تراث وتاريخ وموروث هذه الأوطان التهامية. وما زال لدينا فقرات نرغب الإشارة إليها، وهي على النحو التالي :

(١) هذا ما سمعه الباحث من بعض الرواة في المخوة يوم الاثنين (١١/٤/٢٨هـ). بالإضافة إلى مذكرة وصلتنا من الأستاذ ناصر الشدوي أثناء رحلتنا في بلاد قلوة والمخوة، وصورتها موجودة ضمن أوراق مكتبتنا.

(٢) عبد الله الغامدي من مواليد شدا الأعلى عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، تعلم في شبابه مبادئ القراءة والكتابة، وعمل في مهنة التجارة في بعض حواضر الحجاز الكبرى مثل: مكة وجدة والطائف، ثم عاد إلى مسقط رأسه، وبذل جهوداً عديدة في خدمة أهالي شدا، فطالب بفتح مدارس نظامية للبنين والبنات، وفتح طريقاً تسلكه السيارة ويصل إلى أجزاء من جبلي شدا، كما ساهم في عمارة بعض المساجد المحلية في الشدوين، وغيرها من الخدمات الإنسانية والخيرية المدونة في بعض الوثائق التي وصلتني من ابنه علي بن عبد الله. المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م)، ج٨٢، ص ١١٠-١٢٥.

(٣) المصادر نفسها. نأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس تاريخ التعليم والثقافة في الشدوين والمخوة وقلوة خلال المئة سنة الماضية. وذكر الأستاذ علي عبد الله الغامدي في إدارة تعليم المخوة أن والده عبد الله بن أحمد الغامدي كان يسعى إلى نشر الفكر والتعليم والثقافة في المخوة وشدا الأعلى، فأنشأ عام (١٣٨١هـ/١٩٦١م) أول مكتبة تجارية في بلدة المخوة، وجلب الراديو والكهرباء إلى سكان شدا الأعلى في ثمانينيات القرن (١٤هـ/٢٠م).

(٤) أهالي جبل شدا أذكيا في أقوالهم وأفعالهم، ومنهم من عُرف بالرزانة والحكمة والشعر النبطي قديماً، وفيهم اليوم الكثير من المتقنين والمتعلمين، وأمل أن يخرج من تلك الفئات من يدرس لغة وتاريخ وحضارة واقتصاد وتعليم وثقافة أهل شدا الأسفل والأعلى، ومن يفعل ذلك من أبنائها أو بناتها فإنه سوف يسدي إلى أرضه وأهله معروفاً كبيراً، كما أنه سيرد شيء من المعروف والفضل الذي قدمته هذه البلاد العربية الأصيلة.

- أ - عدم وعي الناس بأهمية البيئة ، فترى الكثير منهم يسعون إلى إتلاف الغطاء النباتي ، والقضاء على الطيور وبعض الكائنات الحية ، وتلويث الأرض برمي القمامة والمخلفات الآدمية وغيرها في الأودية والجبال أو في الطرقات والقرى والمدن ، وكل هذه السلوكيات تؤثر سلبا على حياة الأرض والسكان^(١) .
- ب - هذه البلاد تنعم بالأمن والاستقرار ، ويمارس أهلها عباداتهم بكل سهولة ويسر ، وهذا ما شاهدته في الطرقات ، والأسواق ، والمدارس ، والمساجد والجموع والتجمعات العامة والخاصة الصغيرة والكبيرة . ومن يدرس تاريخ هذه الأوطان خلال العقود الأولى والوسطى من القرن (١٤هـ / ٢٠م) وما قبلها فإنه سوف يتضح له الخوف والجهل والفقر الذي كان سائدا في أنحاء هذه الأوطان ، وغيرها من بلدان المملكة العربية السعودية ، واليوم تغير الحال من سيء إلى حسن ، ومن رعب وفوضى إلى أمن واستقرار^(٢) .
- ج - لا يخلو المجتمع من مشاكل وسلبيات مثل: نبرة العنصرية والتعصب فهي موجودة عند بعض الأفراد ، والأسر ، أو القرى ، أو العشائر ، وهذا مرض اجتماعي عرفه العرب من قبل الإسلام ، وما زال يُمارس في بلادنا وبين أهلنا وإخواننا . كما أن هذه البلاد المعنية في هذه الدراسة يوجد في أرضها الكثير من النقوش والرسومات الصخرية والآثار ، ولا أحد يدرك أهميتها ، بل إن أكثرها ناله دمار وخراب الإنسان . وكذلك الأمكنة التراثية والتاريخية مثل: القرى القديمة ، والأسواق ، والطرقات ، والآبار ، والمقابر ، وبعض المهن والحرف الاقتصادية القديمة: كالصيد ، والرعي ، والزراعة ، وكثيرا من الصناعات التقليدية ، أصبحت من الماضي ولا نرى رعاية فردية أو جماعية ، أهلية أو حكومية تفعل شيئا لحفظ هذا التاريخ الذي عرفه الأوائل ، وعانوا كثيرا في بنائه وصيانته .
- د - البلاد مليئة بالتاريخ الفكري ، والثقافي ، والأدبي ، والعلمي . فهناك لغة ولهجات ، وفنون شعرية وأدبية وثقافية ، وأهازيج ، وطرفة وفكاهة ، وأقوال وأغاني ، وحكم ، وقصص ، وروايات ، وأمثال محلية . وهناك أيضا أعلام نسائية ورجالية ، وعبر ودروس وحروب أسرية أو عشائرية أو قبلية ، وصلات داخلية وخارجية ، ونشاطات دينية ، واجتماعية ، واقتصادية ، ومعرفية . كل هذه الصور التاريخية والحضارية عرفها ومارسها إنسان هذه البلاد التهامية ، وتستحق من ينقب عنها ويجمعها ويدرسها ثم ينشرها لأبنائنا في هذه العصور الحديثة والمعاصرة . والفاحص للعلم والتعليم في هذه المنطقة يجد المدارس النظامية منتشرة في أرجائها ، لكن مستوى

(١) هذه الجوانب جديرة بالبحث ، فتدرس الأسباب والأخطار التي تنتج عن تدمير البيئة وإتلاف مكوناتها الطبيعية ، ونرجو أن نرى الجامعات المحلية تهتم بهذا الجانب في خططها وبحوثها واهتماماتها .

(٢) قرأت آلاف الوثائق والكتب والمراجع والمقالات التي أرخت للأرض والسكان في الجزيرة العربية منذ العصر القديم إلى وقتنا الحاضر ، ووجدت أن الرخاء والأمن والراحة التي يعيشها سكان المملكة العربية السعودية اليوم لم يسبقه عهد مشرق مثلما يعيشون في عصرنا الحاضر ، وهذا فضل من الله عز وجل ، ونسأل الله أن يديم أمنه ونعمته علينا وعلى جميع المسلمين..

التعليم ونوعيته هزيلة وركيكة ، والكم يغلب على الكيف ، وهذه مشكلة عامة تعاني منها جميع مراحل التعليم في أرجاء البلاد السعودية^(١) .

هـ - شاهدت وعرفت وسمعت عن كثير من أهل هذه البلاد ، ففيهم خطباء في الجوامع ، أو معلمون وموجهون ومربون في المدارس ، أو موظفون كبار ، أو أساتذة في الجامعات ، أو أعيان ، أو وجهاء ، أو شيوخ قبائل ، أو أصحاب مال أو صناعات قرار في أوطانهم ، أو حكماء وعقلاء . وكل هذه الفئات من النساء والرجال عليهم مسؤوليات كبيرة تجاه أنفسهم ، وأهلهم ، وأوطانهم ، فهم الذين فيهم الأمل ، وعليهم يعتمد في عمارة الأرض ، وبناء أوطان صالحة تؤمن بربها ، وتعمل لخير دينها وأوطانهم . وإذا لم يتحمل هؤلاء المسؤوليات المنوطة بهم ، ويقومون بها على خير وجه للصالح العام والخاص ، وإلا فإن المجتمعات سوف تفرق ، وينالها الوهن والضعف والتفكك والانحيار^(٢) .

ثالثاً : صور من تاريخ بعض بلدان تهامة (المخوة وقلوة وما جاورهما) :

١- من تاريخها في بعض المصادر والمراجع :

هذه البلاد المذكورة من أقل بلدان تهامة والسراة ذكراً في كتب التراث الإسلامي المبكرة والوسيطه ، لكننا نجد أحياناً إشارات قليلة عن بعض أجزائها وسكانها . ففي كتب التاريخ الحولية مثل الطبري ، وابن الأثير ، وابن كثير ، وابن خلدون معلومات عن بعض التهاميين الذين دخلوا الإسلام في عهد الرسول (ﷺ) ، والذين ارتدوا في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، ولا تخلو كتب السير والمغازي من روايات أيضاً . وفي هذه المصادر العامة ورد أسماء بعض الأعلام الذين شاركوا في الصراعات السياسية والعسكرية في القرون الإسلامية الأولى داخل الجزيرة العربية وخارجها^(٣) .

وكتب التاريخ الموضوعية التي تؤرخ لزمان ومكان محدودين مثل كتب الأزرق ، والفاكهي ، والفاسي ، وبعض أسرة آل فهد المكية ، وتاريخ اليمن لعمارة الحكمي اليمني ، وغيرها ، يوجد فيها صفحات من تاريخ الحجاز وبخاصة مكة المكرمة ، وأجزاء من اليمن ، لا تخلو من معلومات تتعلق بالبلاد الممتدة من مكة إلى قلوة والمخواه ، فهناك إشارات

(١) من يقارن التعليم الحديث مع التعليم القديم فإنه يجد جودة التعليم في الماضي أفضل من عصرنا الحالي ، نعم هناك إمكانات كبيرة اليوم ، وأمواً كثيرة تصرف ، لكن مستوى الطالبة والطالب أضعف من السابق تفكيراً ، واجتهاداً ، وكتابة ، ورغبة في التعليم . قد يقول قائل هذا كلام غير صحيح ، فها نحن نشاهد أصحاب الشهادات العليا ، وبعض المبدعين والجادين ، وأقول كلام صحيح ، فهناك نماذج جيدة ومتفوقة ، لكن النمط العام الغالب على مستوى التعليم اليوم وأثره المعرفي ، والأخلاقي ، والاجتماعي الإيجابي أضعف بكثير من السابق .

(٢) خلق الإنسان لعمارة الأرض ، والواجب على الفرد المسلم المؤمن أن يعمل لتحقيق هذا الهدف ، ومن يفعل ذلك فإنه سوف ينال رضا ربه (عز وجل) ، وخدمة الدين والنفس والأهل والوطن .

(٣) ركزت كتب التاريخ العامة مثل: الطبري وغيره على التاريخ السياسي والعسكري ، لكنها لا تخلو من بعض الشذرات . ومن يفحص هذه الكتب الحولية فإنه يجد صوراً تاريخية عديدة ومحدودة عن تاريخ وحضارة تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز .

لبعض الأمكنة، وشذرات أخرى قليلة عن بعض الأحداث التاريخية في هذه البلاد^(١).

وفي كتب الطبقات والتراجم والأعلام معلومات عن تهامة بشكل عام، وعن الأوطان التي ندرسها بشكل خاص. ومن تلك المصادر كتب الطبقات لابن سعد، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني. وهذه المصادر أشارت أيضاً إلى أسماء تهامية عاصرت ظهور الإسلام في الحجاز، وبعضها خرجت مع جيوش المسلمين للجهاد في سبيله في الشام وفارس ومصر وشمال إفريقيا وبلاد الهند والسند^(٢).

أما كتب الجغرافيا والرحلات فهي الأفضل في حفظ الكثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية والحضارية عن تهامة من قلوة والمخوة إلى بارق، ومن أعم وأشمل هذه المصادر كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني، ففي هذا السفر تفصيلات كثيرة عن مواضع وسكان عاشوا في هذه البلاد، ولا تخلو معلومات هذا العالم اليميني من بعض الأخطاء غير المقصودة، وما زال كتابه من المصادر الرئيسية عن بلاد تهامة والسراة خلال القرون الأولى من عصر الإسلام^(٣). ومصادر أخرى مثل: المسالك والممالك، ومعجم ما استعجم للبكري، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وهذه الكتب تأتي في المرتبة الثانية بعد كتب الهمداني^(٤)، وفيها معلومات كثيرة عن تهامة، والبلاد الممتدة من بارق إلى نهامة غامد وزهران، ورد لها ذكر لا بأس به، فهناك مواضع عديدة تم الإشارة إلى شيء من جغرافيتها وتاريخها. ومصادر أخرى لا تخلو من اشارات طفيفة وأحياناً مبهمة عن بعض الأوطان التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان، ومن تلك الكتب: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، وسفرنامه لناصر خسرو، ورحلة ابن جبير، وتاريخ المستبصر لابن المجاور، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي، ورحلة

(١) ركزت هذه المؤلفات على تواريخ الحجاز واليمن، ولقرب بلاد تهامة من هذه النواحي، ثم للصلات التاريخية والحضارية للتهاميين مع الحرمين جعلت مؤلفي هذه المصادر يلتقون بأهل السراة وتهامة، ويسمعون بعض الأخبار عنهم وعن بلادهم وما يدور فيها من أحداث سياسية سلبية وإيجابية.

(٢) من يفحص هذه المصادر فإنه يجد أسماء تهامية هاجرت إلى المدينة المنورة، وأخرى خرجت أثناء الفتوحات الإسلامية إلى بلدان عديدة خارج الجزيرة العربية.

(٣) الهمداني: هو الحسن بن أحمد بن يعقوب، يكنى بأبي يعقوب، ويعرف بالنسابة، أو ابن الحائك، ويسمى نفسه بـ (لسان اليمن)، ويكنى نفسه أيضاً بأبي محمد، وهو من بلاد همدان في اليمن، ومن علماء المسلمين الكبار، وله كتب عديدة في الأنساب، واللغة، والجغرافيا، والمعادن وغيرها. وكتبه من أفضل المصادر التي وصلتنا عن الجزيرة العربية خلال عصور الإسلام الأولى، وتستحق أن يصدر عنها عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية. للمزيد انظر: غيثان بن جريس "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني". بحث منشور في مجلة الدارة، عدد (٣) النسبة (١٩) (ربيع الآخر، والجماديان / ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ص ٧٦-١١١. والبحث نفسه أعيد نشره في كتابنا: دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق.١-ق.١٠هـ/ق.٧-ق.١٦م)، (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ١، ص ١٢٧-١٦٤.

(٤) تستحق كتب البكري وياقوت الحموي دراسة وتحليلاً، وبخاصة ما جاء فيها عن بلاد تهامة والسراة، ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ بجامعة الملك خالد، برنامج الدراسات العليا، فيتخذ من هذا الموضوع عنواناً لرسالته في درجة الماجستير أو الدكتوراه.

السلطان المجاهد الرسولي من تعز إلى مكة المكرمة ، ورحلة ابن بطوطة وغيرها (١) .

وكتب الأنساب والموسوعات من المصادر الأولية التي فيها لمحات تاريخية عن تهامة. فابن الكلبي في كتابه: النسب الكبير، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، وفي كتب الأنساب للسمعاني والقلقشندي تفصيلات عن أصول القبائل الأزديّة التي استوطنت السراة وتهامة ، ومعظم العشائر القاطنة في تهامة تنتسب في قبائل اليمن وبخاصة قبيلة الأزدي ، وما زالت هذه العشائر تعيش في هذه الأوطان حتى وقتنا الحاضر (٢) ، والمصادر الموسوعية مثل: نهاية الأرب للنويري ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العُمري، وصبح الأعشى للقلقشندي ، والمقصد الرفيع المنشأ للخالدي ، هذه الكتب موسوعية في معلوماتها، وتحتوي على تفصيلات تاريخية وحضارية (اجتماعية، واقتصادية، وجغرافية، وسكانية) عن بلاد تهامة والسراة ، ولا تخلو من إشارات عن البلدان المعنية في مبحثنا (٣) .

ومصادر أخرى متنوعة في أطروحاتها ، وتحتوي على فقرات من تاريخ تهامة الممتدة من قلوة والمخوة إلى بارق والمجاردة وما جاورها . ومن أهمها : كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، ويقع في عشرة مجلدات ، لكن لم يصلنا منها إلا ثلاثة فقط . وهذا المصدر يشتمل على معلومات كثيرة عن نباتات تهامة والسراة وكثير من الأشجار والنباتات التي درسها تتواجد في منطقتنا المدروسة في هذا البحث ، وفي أنحاء تهامة والسراة الممتدة من مكة والطائف إلى نجران وجازان (٤) . وهذا كتاب الأنواء لابن قتيبة من أهل القرن الثالث الهجري أيضاً ، وهذا المصدر فصل الحديث عن مواسم العرب ، ومعرفتهم الكبيرة بفصول السنة ، وما يتخللها من تغيرات، ومواسم الزراعة والحصاد ، وكل ما يتعلق بالجو وتأثيراته على حياة الناس في جميع مهنتهم الاقتصادية والاجتماعية (٥) .

(١) كتب الجغرافيا والرحلات المبكرة والمتأخرة تشتمل على تفصيلات كثيرة وجيدة عن بلدان تهامة والسراة ، ونأمل أن تدرس في موضوعات علمية موثقة . للمزيد انظر ، غيثان بن علي بن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة الجغرافيون المسلمون الأوائل (ق٢٠٨هـ) " مجلة المؤرخ العربي ، عدد (٢) ، المجلد الأول (مارس / ١٩٩٤م) ، ص ١٠٠٧٢ . وأعيد نشر هذه الدراسة في كتاب : دراسات في تاريخ تهامة والسراة (ق١٠٠هـ / ق٧٠٤-١٦٦م) ، ج١ ، ص ١٩٦١٦٥ . انظر مجلدات عديدة من موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٣ ، ص ٢٩٤٠٢٢١ . ج٤ ، ص ٨٦٢١ . ج٥ ، ص ٩١٢١٠٩١ . ج٩ ، ص ١٣١٠١٩٤ . للمؤلف نفسه ، بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠٥هـ / ق١٥م) ، ص ٢٣٠١٥٩ .

(٢) تاريخ أنساب بلاد تهامة من بارق إلى قلوة جديرة بالدراسة ، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرسها في هيئة كتاب أو رسالة علمية .

(٣) هذه الموسوعات تجمع لفيهاً من المعارف المتنوعة في أبوابها ، والسراوات وتهامة ورد لها ذكر في صفحات وفصول عديدة من هذه المصادر .

(٤) السائر في بلاد تهامة وبخاصة المناطق الواقعة عند سفوح السراوات الغربية من جازان إلى مكة المكرمة سوف يشاهد آلاف الأنواع من النباتات والأشجار التي ذكرها الدينوري في كتابه، ومن يسأل أهل الخبرة بهذه النباتات ثم يقرأ ما كتبه هذا العالم المسلم فإنه يجد معظم مادته العلمية صحيحة متطابقة مع أقوال أهل الدراية والخبرة من أهل البلاد .

(٥) إن القارئ لكتاب الأنواء ، ثم السير في بلاد تهامة والسراة ويسمع لأقوال وروايات الأوائل عن الأنواء ، وكيف كانوا يراقبونها ويتعاملون مع تغيراتها في زراعاتهم ورعيهم وحصادهم وتجارتهم ، فإنه فعلاً سيجد هذا العالم قد أبدع في تدوينه لكثير من الصور التاريخية

ونقول إن المادة المتوفرة عن تهامة في العصر الجاهلي والقرون الإسلامية المبكرة والوسيلة قليلة جداً، وإن أشرنا إلى بعض المصادر الأولية التي ذكرت شذرات من تاريخها، لكنها لا تعطينا صورة واضحة عن حياة الناس في هذه البلاد. وأكثر القرون غموضاً الفترة الممتدة من القرن الثاني إلى الثاني عشر الهجريين (الثامن إلى الثامن عشر الميلاديين)، فهذه الحقبة لا نجد عنها الشيء الكثير، وإن ذكرت مواضيع محدودة، أو أحداث، أو أعلام، فما زال النقص الكبير واضحاً^(١). وفي المصادر المكية الوسيطة وأوائل العصر الحديث إشارات تستحق الجمع والدراسة عن البلدان الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة والممتدة إلى الليث والقنفذة والمخوة وبارق والبرك ودراب بني شعبة وصبيبا وجازان^(٢). وهناك مصادر ومراجع حديثة تصب في خدمة هذه البلاد، ومنها: كتاب: **مناخ الكرام في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم**. لتاج الدين بن تقي الدين السنجاري المكي من أهل القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (السابع عشر والثامن عشر الميلاديين)، فقد ذكر معلومات قيمة عن أجزاء من تهامة وخص بلدة المخوة ببعض التفاصيل^(٣)، وسوف نذكر شيئاً من هذه المعلومات في نهاية هذه الدراسة^(٤).

وأصبحت القنفذة منذ القرن (١٢هـ/١٨م)، من المدن والموانئ الرئيسية التي تؤثر وتتأثر بما يحدث في عموم بلاد تهامة والسراة، وصارت بوابة البحر الأحمر الرئيسية على البلاد الممتدة من الطائف والليث إلى أبها ورجال ألمع ودراب بني شعبة^(٥)، كما أن وصول القوات العثمانية في العصر الحديث إلى مكة المكرمة والطائف والباحة وعسير وجازان

(١) هذا ما اتضح لي من خلال الاطلاع على مصادر حجازية ويمنية عديدة، وأحياناً مصادر عامة. والبلاد التهامية والسروية الواقعة بين اليمن والحجاز مأهولة بالسكان، وغنية بمواردها الاقتصادية، ولأهلها صلات حضارية مع حواضر اليمن والحجاز. لكن للأسف لا نجد تاريخاً واضحاً أو حتى صوراً تاريخية محدودة لبعض هذه البلدان وسكانها، ما عدا المخلاف السليماني (منطقة جازان)، ونجران، والطائف فهناك بعض الكتابات والروايات عنها وهي متناثرة في مصادر ومؤلفات يمنية وحجازية.

(٢) أسير في أرجاء هذا الأوطان منذ أربعين عاماً، والتقى ببعض أعيانها ووجهاتها، وجمعت شيئاً من وثائق وتراث أهلها. وهي بلدان ذات تاريخ وحضارة، والواجب على الجامعات الموجودة في هذه الأجزاء أن تضاعف الجهود، وتفتح مراكز علمية بحثية متخصصة، وتجلب لها أساتذة مميزين حتى يدرسوا تاريخ وموروث وأثار وحضارة هذه الديار، وهي فعلاً تستحق الرعاية والدعم. ومنذ ثلاث عقود وأنا أنادي أصحاب القرار، والباحثين الغيورين، والمؤسسات العلمية والثقافية في هذه البلاد ليعملوا ويجتهدوا في جمع تاريخ وموروث هذه الأوطان العريقة، لكن حتى الآن لا نرى أي حراك أو اهتمام يصب في خدمة البلاد.

(٣) هذا الكتاب يقع في عدة مجلدات، وفيه معلومات جيدة عن أهل تهامة والسراة، ونأمل أن نرى باحثاً جاداً يجمع ما دون وغيره من معاصره عن هذه الأوطان التهامية والسروية، ومن يفعل ذلك فإنه سيطلعنا على تفاصيل قيمة وحديثة في بابها.

(٤) الأستاذ عبد الرحمن حمياني العمري من أهل المخوة أصدر مقالة عن المخوة القديمة، وأشار إلى أهمية هذا المصدر، للمزيد انظر: هذه المقالة منشورة في نهاية هذا المحور.

(٥) إن الصلات التاريخية خلال العصر الحديث والمعاصر بين القنفذة والأجزاء التهامية الداخلية، وأيضاً السروات من الموضوعات المهمة للبحث والدراسة. وهناك مئات الوثائق غير المنشورة وعشرات الكتب والبحوث والرسائل التي تشتمل على تفاصيل عن هذه الفترة، ونأمل أن نرى باحثين جادين، من طلاب درجات الماجستير والدكتوراه، يدرسونها في عدد من البحوث العلمية، وهي تستحق أن تدرس في بحوث وكتب عديدة.

جعل المؤرخين ورجال الحرب والسياسة يذكرون بلاد السراة وتهامة في مراسلاتهم ووثائقهم وتقاريرهم ، ومن ثم صار هناك من يدون ويكتب شيئاً من تاريخ البلاد الممتدة من محايل وبارق إلى المخوة وقلوة وما جاورها. وظهر في القرون (١٢-١٤هـ/١٨-٢٠م) دراسات فصلت الحديث عن بعض الصور التاريخية التي عاصرها وشارك فيها السريون والتهاميون . ومن تلك البحوث رحلات بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين ، مثل: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس ، للعباس بن علي الموسوي ، الذي زار أجزاء من تهامة زهران والقنفذة في عام (١١٤١هـ/١٧٢٨م) ، وكتاب: بلغة المرام في الرحلة إلى بيت الله الحرام ، ليحيى بن المطهر . ورحلة محسن بن عبد الكريم بن إسحاق. وكتاب: نيل الوطر في ذكر أحوال السفر إلى الحرم الأزهر والنبي الأنور (ﷺ) ، لإسماعيل جفمان. وهؤلاء الرحالة الثلاثة الآخرون يمنيون ، ومن أهل القرنين (١٢-١٣هـ/١٨-١٩م) ، اجتازوا تهامة عند ذهابهم إلى أرض الحرمين، وذكروا شيئاً من تاريخها^(١). والرحالة السويسري جون لويس بركهارت (ت ١٢٣٢هـ/١٨١٧م) في كتابه: رحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، دون بعض التفاصيل عن البلاد الممتدة من الطائف ومكة إلى سراوات وتهامة غامد وزهران ، وهناك رحلة أجنبى زاروا تهامة وكتبوا عنها في القرن (١٤هـ/٢٠م) مثل: السير كيناها كورنواليس ، وسانت جون فليبي ، وتوتيشل ، وولفرد شيجر ، وجميعهم ذكروا حاضرة القنفذة وأجزاء من تهامة منطقتي الباحة (غامد وزهران) وعسير ، وفصل بعضهم الحديث عن الحياة السياسية والحضارية في بارق ، والعرضيات ، وقلوة والمخوة^(٢). ومن الرحالة العرب الذين أشاروا إلى هذه البلاد في القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبعضهم في القرن (١٥هـ/٢٠م) الشريف البركاتي ، والشريف عبد الله بن الحسين ، وعاتق بن غيث البلادي^(٣). وهناك عشرات الكتب والبحوث والرسائل العلمية التي فصلت الحديث عن تاريخ مناطق جازان ، وعسير، والحجاز، وموانئ البحر الأحمر، وبعضها باللغة العربية، وأخرى بلغات أجنبية وبخاصة اللغة الإنجليزية أو الإيطالية، أو العثمانية، أو التركية الحديثة^(٤). ومعظمها تعرضت لتاريخ أرض وسكان تهامة غامد وزهران وما جاورها من الأوطان التهامية.

٢. من تاريخها في بعض الوثائق بمكتبة د. غيثان بن جريس العلمية :

من بارق إلى المخوة وقلوة جزء من تهامة الممتدة من الحجاز إلى اليمن ، وأثناء

(١) للمزيد عن هؤلاء الرحالة ، انظر: غيثان بن جريس . بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق.١٠ق.١٥هـ) ، ص ١٦٩-١٨٠.

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٨١-١٩٢-٢١٢ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٨٦-١٩١ ، ٢١٤ .

(٤) هذا ما عرفه الباحث خلال العشرين سنة الماضية أثناء زيارته بعض المكتبات المركزية في المملكة العربية السعودية ، ومصر، وتركيا، وبريطانيا، وهولندا، وفرنسا، وإيطاليا . وكذلك حضوره بعض المؤتمرات والندوات أو مناقشة بعض الرسائل العلمية في جامعات عربية وغير عربية، وأيضا اطلاعه على بحوث علمية محكمة ومنشورة عربية وغير عربية .

دراستي في الولايات المتحدة الأمريكية ، ثم بريطانيا ، ثم زيارتي إلى مصر ، وتركيا ، وسياحتي في مناكب السراة وتهامة ، ومقابلة الكثير من أعيانها وشيوخها ورموزها ، وتدريسي آلاف الطالبات والطلاب خلال الأربعين عاماً الماضية ، وإشرافي على بحوثهم ورسائلهم العلمية ، تكون عندي خلفية لا بأس بها عن أوطان تهامة والسراة ، ووجدت مصادرها التاريخية متنوعة مثل: المخطوطات ، والمصادر المبكرة أو النادرة ، والآثار والنقوش والرسومات الصخرية ، والمقابلات ، والروايات الشفهية ، والمتاحف ، والصور الفوتوغرافية ، والوثائق المحلية والإقليمية والعالمية ، وقد توقفت مع هذا المصدر الأخير (الوثائق) فوجدت أماكنها متعددة ، ومعلوماتها متنوعة ، وخرجت ببعض الرؤى عن هذا المصدر المهم ، وأذكرها في النقاط الآتية :

أ- أهل هذه البلاد لهم عادات وأعراف وتقاليد ، وعندهم أملاك عقارية ، ولهم أحداث وصراعات حربية وسياسية داخلية وخارجية ، وهذه الأنشطة تُروى وبعضها تدون في أوراق ووثائق محلية ، وفي المنطقة أيضاً إدارات ومؤسسات إدارية تشرف وتضبط سير الحياة العامة والخاصة . كل هذا وجدته في كثير من الوثائق التي استطعت جمعها خلال العقود الأربعة الماضية ، ومعظم هذه المصادر حصلت عليها من الأفراد والجماعات وأحياناً من بعض البيوتات العلمية في الأوطان التهامة والسروية ، أو من بعض الإدارات الحكومية في القنفذة أو جازان أو أبها أو غيرها من البلدان الجنوبية السعودية^(١) . وهذه الوثائق توجد في ملكيتنا ، وقد نشرت العشرات منها في كتب وبحوث مختلفة^(٢) ، ومادتها متنوعة مثل: الوثائق الاقتصادية كالبيع والشراء ، أو أسعار السلع ، أو حركة الأسواق الأسبوعية ، أو امتلاك بعض العقارات كالمنازل والمزارع ، أو التبادلات التجارية ، أو أسماء بعض التجارات أو التجار في القرى أو الأسواق ، أو المدن ، أو الموانئ ، أو ذكر بعض الصناعات والحرف التقليدية ، وممارسة شراء موادها الأولية ، وبيع مصنوعاتها الجلدية ، أو الخشبية ، أو المعدنية ، أو الحديدية ، أو النباتية ، أو الحجرية والفخارية . أو وسائل التعاملات مثل: البيع بالمقايضة ، أو النقود ، أو الدفع بالأجل ، وما يقابل هذه المعاملات من صعوبات^(٣) .

(١) كثير من الوثائق التي استطعت جمعها من الأوطان المحلية مثل: محائل ، وبارق ، والعرضيات ، وقلوة ، والمخوة ، وباقي بلدان تهامة والسراة ، ومعظمها في التاريخ الحديث من القرن العاشر إلى الخامس عشر الهجريين ، وهناك وثائق قليلة قبل هذا التاريخ ، وما زالت في حوزتنا ، وهي غير منشورة ، وتستحق أن تدرس في عدد من البحوث.

(٢) انظر بعض كتبنا المطبوعة والمنشورة وهي تحتوي على عشرات الوثائق الجديدة والمتنوعة في مادتها العلمية ، وجميعها مازالت وثائق خام تحتاج إلى دراسة وتحليل ونأمل أن يأتي من طلابنا في الدراسات العليا ، أو من باحثين معتمدين يصنفونها ويدرسونها .

(٣) عثرنا على آلاف الوثائق الاقتصادية المحلية ، وهي جديدة وغير منشورة ، وتوضح كثير من الجوانب التاريخية الحديثة في مدن وموانئ وقرى وأسواق الأراضي التهامة الممتدة من مكة المكرمة إلى جازان . وما في حوزتنا من هذا النوع من الوثائق كاف لخروج عشرات البحوث . ونأمل أن نرى من الباحثين الجادين من يتعاون معنا حتى تصدرها في بحوث علمية سهلة التداول .

وهناك وثائق أخرى اجتماعية أو تعليمية وثقافية ، أو سياسية أو عسكرية ، أو صلات إخوانية ، أو علاقات دبلوماسية^(١) .

ب - من الوثائق الموجودة في مكتبتنا ما تم الحصول عليه من دور الأراشيف الوثائقية في مصر، وتركيا ، وبريطانيا وبعض الدول الغربية الأخرى . ومنها أيضاً ما وجدناه في داره الملك عبد العزيز العامة ، أو مكتبة الملك فهد الوطنية ، أو مكتبة الملك عبد العزيز العامة^(٢) . وعدد هذا الصنف من الوثائق عندنا محدوداً ، فلا تتجاوز الآلاف ، وقد رأيت أعداداً كثيرة من هذه الوثائق في الأرشيف العثماني في اسطنبول وتاريخها من القرن (١٢ - ١٤هـ/ ١٨ - ٢٠م) ، وبعضها يناقش تواريخ عديدة في تهامة عسير والباحة ، ومن المواضيع المذكورة: بارق ، والمجاردة ، والمخوة ، وقلوة ، والأجزاء الشرقية من منطقة القنفذة مثل: القوز ، وسبت الجارة ، وثربيان ، ونمرة^(٣) .

ج - صدر عدد من الكتب العربية والأجنبية ، وبحوث محكمة ورسائل علمية في بعض المجالات والجامعات السعودية والعربية والغربية . وكثير من هذه الأعمال تحتوي على وثائق تاريخية تخص الديار التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى صبيا وجازان^(٤) . ويغلب على أكثرها أنها مصادر جديدة ، ومدروسة بطرق علمية^(٥) .

٣- من تاريخها في بعض البحوث والمقالات المنشورة ، وغير المنشورة :

البلاد الممتدة من شمال محائل إلى المخوة وقلوة فقيرة في ميدان الدراسات العلمية، وغير متساوية فيما صدر عنها من بحوث ومقالات علمية منشورة وغير منشورة، وفي الصفحات التالية نذكر بعض أسماء البحوث والمقالات الحديثة عن بلدي المخوة وقلوة في تهامة غامد وزهران والموجودة في مكتبتنا .

- (١) يوجد في مكتبة د غيثان بن جريس العلمية أكثر من (١٥٠) مجلداً من الوثائق العامة ، وكثير منها جمعت من أهل تهامة والسراة ، ومعظمها تعكس تاريخ المناطق الجنوبية السعودية خلال الثلاثة قرون الماضية ، وهي متنوعة وتشمل معظم جوانب التاريخ السياسي والحضاري في الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها .
- (٢) مازال في هذه المكتبات ووثائق كثيرة تتعلق بتاريخ بلدان السراة وتهامة ، ونأمل من طالبات وطلاب درجات الماجستير والدكتوراه في التاريخ الحديث بجامعة السعوية أن يطلعوا عليها ويستفيدوا منها في أطروحاتهم العلمية .
- (٣) جميع هذه المواضيع تستحق أن يصدر عنها بحوث ودراسات علمية خلال القرنين (١٣هـ/١٩٤٠م) ، والحصول على مواد علمية تؤرخ لهذه الفترة توجد في الأراشيف والمكتبات السابق ذكرها أعلاه .
- (٤) لم ننصل الحديث عن الوثائق وموضوعاتها وما تحتوي عليه من مواد علمية ، فهذا ميدان واسع يحتاج إلى مئات الصفحات ، وإنما اقتصرنا على الحديث على الأوعية والأماكن الرئيسية التي يوجد فيها وثائق علمية تخدم تاريخ تهامة وبخاصة البلاد الممتدة من الحجاز إلى جازان ، وتقع مناطق بارق والمجاردة والعرضيات والمخوة . والشدون ضمنها . وهذا العرض المختصر قد يفتح الباب لطلاب الدراسات العليا ، والمؤرخين ، والباحثين الذين يجمعون ويدرسون تاريخ هذه البلدان العربية السعودية .
- (٥) رأيت خلال الأربعين عاماً الماضية كثيراً من هذه الدراسات المنشورة وغير المنشورة وفيها وثائق قيمة عن بلدان القنفذة ، والبرك ، وبارق ، والمخوة ، ومحابل عسير ، ورجال ألمع ، والقحمة ، ودراب بني شعبة ، والشقيق ، وجازان وغيرها . وأرجو من أبنائنا الطلاب في أقسام التاريخ في برامج الدراسات العليا وكذلك الباحثين والمؤرخين من أهل تهامة أن يلتفتوا إلى هذه النواحي ، فيجمعوا وثائقها ومصادرها الأولية ويعكفوا على دراستها وتحليلها .

قلت: تعيش هذه النواحي نفس مشكلة أهل العرضيات والمجاردة وبارق وغيرها من حيث قلة وأحياناً ندرة الدراسات والبحوث العلمية، مع أن محافظة المخوة وما حولها أكثر تطوراً وتنمية من العرضيات^(١)، ويوجد فيها بعض الكليات وأقسام للتعليم الجامعي^(٢). ومما اطلعت عليه بحثان منشوران محدودان سطحياً. الأول: **مذكرات معلم في السعودية**، في قرية حذب بني عاصم في المخوة، لأستاذ فلسطيني، عمل في التعليم في تلك الناحية في عام (١٣٨٥هـ)، ودون شيئاً من مشاهداته وانطباعاته، ونشرت هذه المذكرة في مجلة المعرفة التي تصدرها وزارة التعليم، بتاريخ (١٤٣٢/٢/٦هـ)^(٣). والثاني: **الدراسة الثانية بعنوان: (شدا الأعلى هل هو جبل (ق))**، وهي منشورة في مجلة العرب، الجزء (١١، ١٢) سنة (٤٩)، الجماديان (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)^(٤)، للأستاذ ناصر الشدوي^(٥). كما اطلعت على كتيب بعنوان: **هذه سيرتي**، للأستاذ علي بن أحمد اليهمطي، أحد رواد التعليم في محافظة قنوة، وإن كانت معظم مادة الكتاب عن سيرته الذاتية، فإنه لا يخلو من معلومات حضارية تصب في خدمة تاريخ وتراث قنوة الحديث. ومن أفضل ما وصلني مذكرة بعنوان: **المخوة القديمة، التاريخ يطل من قمة جبل الجرف**^(٦)، للأستاذ عبد الرحمن بن علي حمياني العمري^(٧). ولجودة هذه المذكرة العلمية فضلت نشرها كما وصلتي، فيقول: (على قمة جبل "الجرف" تقع قرية المخوة القديمة غربي المخوة الحاضرة الآن)^(٨)، مشرفة على واديين عظيمين من الناحية

(١) هذا ما شاهدناه أثناء سيرنا وتحوّلنا في هذه البلدان، خلال رحلتنا المدونة في هذا البحث.

(٢) زرت بعض هذه الأقسام والكليات في المخوة وقنوة فوجدتها متواضعة في إمكاناتها، ولا أحد من أعضاء هيئة تدريسيها عنده الهمة أو الرغبة في بحث أو دراسة أي مجال من مجالات الحياة في هذه الأوطان، وربما تكون المشكلة نفسها في الجامعة الأم في الباحة، التي يجب أن تدعم وتشجع إنشاء مراكز للبحوث العلمية التي تخدم البلاد وأهلها.

(٣) صورة من هذه الدراسة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)، ج٧، ص ١٧١٢.

(٤) انظر المجلة، ص ٨٥٩، ٨٧٥. وما طرحه الباحث في هذه الدراسة مجرد وجهة نظر، لكنها بعيدة عن الحقيقة والواقع.

(٥) ناصر الشدوي من أبناء جبل شدا الأسفل، وعنده اهتمامات بالنقوش والرسومات الصخرية في هذين الجبلين، كما أنه يجتهد في التعريف بهما على مستوى المملكة العربية السعودية وخارجها. وقد زودني بمذكرة غير منشورة في (٩) صفحات عنوانها: النصوص والرسومات الأثرية في جيلي شدا الأسفل والأعلى. وهذه الورقات محفوظة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)، ج٧، ص ٤٤، ٣٦.

(٦) صورة من هذه المذكرة في مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية، الوثائق العامة (ق١٥هـ/٢٠م)، ج٧، ص ٧-١١.

(٧) عبد الرحمن حمياني من مواليد عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) بوادي ضيان في محافظة المخوة. درس مراحل تعليمه الأولى في مدينة المخوة، وحصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية وأدائها من جامعة الباحة عام (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، والماجستير في تخصص القيادة التربوية من جامعة الباحة أيضاً عام (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م). بدأ عمله في التعليم في مدينة جدة عام (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ثم انتقل إلى المخوة، وعمل في المكتبة العامة، ثم الإشراف التربوي، ويعمل الآن مديراً لقسم التجهيزات المدرسية في إدارة تعليم المخوة. شارك في عدد من اللقاءات، والاجتماعات، والندوات، والمؤتمرات، المحلية. وهو عضو في بعض اللجان والمجالس التعليمية والتربوية والثقافية، والإدارية، والاجتماعية، والدعوية. وله مشاركات في عدد من الصحف والمجلات العربية المحلية والإقليمية. ويمتاز الأستاذ عبد الرحمن بحسن الخلق، ولطف المعشر، وسهولة التعامل.

(٨) هذه البلدة مازالت ماثلة للعيان، وهي مندثرة، والواجب صيانتها وترميمها، (ابن جريس).

الشرقية والشمالية الشرقية، وهما: وادي ضيان، ووادي راش، في القطاع التهامي لمنطقة الباحة، بعيدة عن مساقط السيل على خلاف المخوة الموجودة حالياً التي ترتب الآن على نقطة التقاء الواديين الكبيرين مما يجعلها مهددة باستمرار للسيول الجارفة^(١). وبخاصة أحياء "الردحة" و"السوق". وتمثل قرية المخوة القديمة تاريخياً لأجيال مضت ولم يبق إلا الآثار الشاهدة على حياة عامرة بالنشاط والحيوية والحكمة والعناء، فعندما تدخل تلك القرية فإن منازلها تشعرك بقوة أولئك الرجال، وإحكام سيطرتهم على القرية من حيث توزيع البيوت ووضع الممرات وتجميل الشرفات، بالرغم من تلاصقها التام في أغلب الأماكن، مما يؤدي إلى الاختلافات والخصام بين سكان القرية، وحدوث المشاكل بكافة أنواعها، ولكنني وجدت جواباً أزاح حيرتي حول تمكن السكان في هذه القرية العيش بسلام وسيطرتهم على كل مشكل يعكر صفوهم، فأخبرني أحد المهتمين بالتراث أن القرية كان يسيطر عليها عشرة من الرجال، من أعيان القبيلة، وكان لكل واحد دور يؤديه بكل إخلاص وأمانة، بل لا يسطو أحد منهم على صلاحيات الآخر، فكانوا معنيين بنظام القرية، والبت في القضايا الحادثة سواء فيما يتعلق بالنظام داخل القرية، أو بالأحداث الخارجية فلا بد فيها من رأي جماعي لأهل القرية^(٢). أما من ناحية بناء المنازل فقد وجدت أن بعض البيوت مكونة من عدة طوابق، وتستخدم الدرج الحجري الداخلي للانتقال من طابق إلى آخر، ولها غرف واسعة ومتعددة يفصل بينها جدران حجرية، وهذا لا يعني تساوي كل المنازل من حيث الفخامة والجودة والاتساع، فطول بعض المنازل يصل إلى (١٥) متراً وله غرف واسعة، وفي المقابل هناك بعض الغرف تقدر مساحتها في حدود (٢×٣ متر)^(٣). أما القرية بشكل عام فتتخذ اتجاهها طولياً على رأس الجبل من الشمال إلى الجنوب، ويقع في الشمال الشرقي للقرية مساحة كبيرة ليس فيها أي بناء وتعتبر هذه المساحة مقر السوق كما أخبرني بعض كبار السن، وهذا السوق مجاور للمسجد الكبير في القرية، الذي تقدر مساحته بـ (١٠×١٨ م)، وهناك مسجد آخر صغير يقع في الجهة الجنوبية الشرقية للقرية، وتقدر مساحته بـ (٥×١٠ م)، وهو مطل على الوادي من الجهة الشرقية، أما الممرات فهناك ممر رئيسي طولي يمتد من الجنوب إلى الشمال، وهو يقسم القرية إلى قسمين شرقي وغربي، لكنه لا يقسم القرية بامتداد

(١) للمزيد انظر: غيثان بن جريس. القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج ٥، ص ١٨٢، ١٨٥ (ابن جريس).

(٢) تاريخ القرى القديمة في بلدان تهامة والسراة، وكيفية إدارتها والتعايش فيها وما يوجد عنها من اتفاقيات ووثائق جديرة بالبحث والدراسة في عشرات البحوث العلمية (ابن جريس).

(٣) للمزيد عن تاريخ العمارة في بلاد تهامة والسراة، انظر: غيثان بن جريس. عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/١٦٨٨-١٩٨٠م). (جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٣٧-٥٨. للمؤلف نفسه "العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية)". مجلة المنهل، عدد (٥٧١). المجلد (٦١). العام (٦٦) شوال ذي القعدة (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) ص ٢٦-٤٩. (ابن جريس).

مستقيم إلى آخر القرية بسبب تهدم القرية في الوسط حيث يضطر الشخص إلى أن يسلك ممراً آخر من اليمين أو الشمال حتى يعبر إلى شمال القرية باتجاه مقر السوق ، وهذا الممر عندما يبدأ من الجهة الجنوبية ينتهي عند ساحة تقدر مساحتها بـ (١٥×٨م) ، ويتضح أن هذه المساحة كانت تؤدي دوراً اجتماعياً في القرية ، مثل اجتماع أهل القرية فيها لحل مشكلة ، أو الاحتفال بمناسبة سعيدة . أما الحجارة المستخدمة في البناء فيظهر أنها من الجبل نفسه ، وبعض هذه الحجارة يصل طولها إلى متر ونصف وأخرى صغيرة جداً ، ووجدت في القرية بعض المنازل كبيرة ومازال بنيانها متماسكاً وحجارتها كبيرة وشرفاتها مطعمة بحجارة (المروة) البيضاء رغبة في التزيين ^(١) ، وهذه المنازل في الجهة الغربية للقرية . كما وجدت منازل في الجهة الشمالية بعد موقع السوق تشكل خطاً مستقيماً ومنفصلة عن القرية بمسافة بسيطة خاصة في الجهة الشمالية الغربية ، وبضعة منازل في الجهة الشمالية الشرقية . والقرية تحتل موقعا على رأس الجبال بطول (٢٥٠) متراً تقريبا ، وأكبر عرض للقرية (٧٠) متراً ، وأقل عرض في حدود (٣٠) متراً ، أما جبل (الجرف) الذي يمتد بمحاذاة الوادي الذي تتربع القرية على رأسه فيبلغ طوله من مدخل قرية "الخربان" شمالاً إلى مدخل "المخاوي" جنوباً (١كم) تقريباً . أما مقابر القرية فتقع في الجهة الجنوبية للقرية في منخفض يعتبر سهل الحضر مقارنة برأس الجبل ، وبعض آثار هذه المقابر مازال موجوداً ، وهناك بنايات صغيرة تبتعد عن المقبرة باتجاه الشمال وقرية من المنازل الجنوبية ومرتفعة عن الأرض مستطيلة الشكل ، وترتفع عن الأرض بمقدار متر واحد ومساحتها تقدر (٢×٢م) وهي في حدود تسعة . وخلال زيارتي للقرية وجدت بعض الكتابات والتواريخ على جدران بعض المنازل منها تاريخ منقوش كالتالي: (١٨ صفر سنة ١١٧٢هـ) ولكني لا أستطيع الجزم أنها كتبت في يوم بناء القرية أو بعده ، أو أنها كتبت فيما بعد عن طريق بعض الزائرين للقرية بعدما تهدمت ، حيث أن الكتابة على الحجارة باستخدام الحجارة وعن طريق النقر عليها أمر سهل ، ولكن أحد الزملاء أخبرني أنه يملك وثيقة تاريخية أقدم من هذا التاريخ ، ومما يرجح صحة هذا التاريخ أنها مكتوبة على حجر في مكان مرتفع جداً في أحد الجدران الخارجية . والشيخ عون يحيى شاكر العمري أحد كبار السن الحاليين ذكر لي أن أهل القرية كانوا يجلبون الماء من بئر عند أسفل الجبل من الجهة الشرقية ومحاذ للوادي اسمها (بئر عمر) ، وبئر أخرى تقع في الجهة الغربية للجبل ، أما المؤن والبضائع فكانت تأتي بها القوافل من بلدة القنفذة التي تقع على شاطئ البحر الأحمر ، حيث أن البلديتين (المخواة والقنفذة) تحتلان مكانة تاريخية واقتصادية كبيرة ، وهاتان البلدتان مقصد لكثير من التجار ومورد للبضائع لجميع المناطق المحيطة بهما ، وأيضاً كانت المخواة همزة وصل بين السراة والساحل ، فكان أهل السراة يبيعون منتجاتهم

(١) حبذا أن نرى باحثاً جاداً فيدرس تاريخ قرى تهامة وسراة منطقة الباحة ، بل إن بعض القرى في هذه الناحية تستحق أن يصدر عنها أكثر من دراسة . هذا ما عرفه الباحث في هذه الرحلة ، ورحلة أخرى عام (١٤٣٢هـ/٢٠١٢م) (ابن جريس) .

في المخوة، ويأخذون منها المؤمن الأخرى التي تجلب من القنفذة والمناطق الأخرى^(١) .
 لاشك أن اهتمام المصادر التاريخية بوصف مكان ما يمثل كنزاً لا يستهان به، ويعطي دلالة عظيمة للمكانة التاريخية والاقتصادية والاجتماعية لذلك المكان، وقد عثرت على مصدرين ورد فيهما ذكر المخوة في إشارات تاريخية مختلفة، وبخاصة علاقتها بمكة المكرمة من الناحية الاقتصادية، وأيضاً تعتبر محطة لعبور الحجاج، فأحد المصادر لمؤرخ مكّي، والثاني لرحالة أوروبي. والكتاب الأول: **مناجح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاية الحرم**، الجزء الخامس لعلّي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (١٠٥٧-١١٢٥هـ) دراسة وتحقيق الدكتورة ملك محمد خياط، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ/١٩٩٨م) من منشورات جامعة أم القرى، والمؤلف يذكر أحداث كل سنة على حدة، ففي الجزء الخامس بدأ من أحداث سنة (١٠٩٧هـ) إلى أحداث سنة (١١٢٤هـ)، فلما جاء إلى ذكر أحداث سنة (١١١٦هـ) ففي صفحة (٢٢٧) قال في السطر الرابع: " فدخل محمد بن عبد الكريم المخوة، ونادى في بني علي وبني عمرو، وبني زهران، وغامد، والأحلاف " ثم استمر في ذكر الأحداث إلى صفحة (٤٠٦)، ثم ذكر قصيدة للشيخ أحمد بن علان الصديقي قال: " وممن مدحه أيضاً صاحبنا الشيخ أحمد بن علان الصديقي وهناك بقصيدة، وهي هذه: أبا شاكر دُم قِبلةً للمحامد موقّي على رغم العدا والحواسد " ثم ذكر في البيت العاشر: " فإن نسأل المخوة عن حال أهلها وعمّا دهاهم في الديار الأبعد والقصيدة مكونة من (٤٩) بيتاً، ونجد اسم المخوة في ذلك المصدر قبل (٢١٥) سنة"^(٢) .

أما الكتاب الثاني فهو: **رحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، لمؤلفه جون لويس بوركهارت ترجمة هتاف عبد الله، دار النشر: الانتشار العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م)، والكتاب مكون من (٣٩٩) صفحة، وذكر في صفحة (٣٧٩) ما يلي: " في زمن السلم، يكثر ارتياد الطريق الأخرى من مكة إلى اليمن بمحاذاة السفح الغربي للجبال الكبيرة، فتصل القوافل أسبوعياً، خاصة من المخوة التي تبعد خمس عشرة ساعة عن دوقة، ويوماً واحداً عن مقاطعة زهران، في الجبال. والمخوة هي مدينة كبيرة تبعد عن مكة مسافة تسعة أيام حين تسير القوافل ببطاء، وفيها أبنية حجرية، وهي السوق التي يبيع فيها تجار زهران والمناطق المجاورة إنتاج عملهم إلى تجار مخوة الذين يرسلونه إلى

(١) أشكرك يا أستاذ عبد الرحمن على هذا السرد التاريخي، ونأمل أن نرى أحد الباحثين الجادين من أبناء المخوة يدرس هذه المدينة أو المحافظة دراسة علمية في هيئة كتاب أو رسالة علمية. كما أن المدن الواقعة عند سفوح السروات من الغرب والممتدة من جبال جازان إلى قلوة والمخوة ذات تاريخ عريق وتستحق أن تدرس في عشرات الكتب والبحوث العلمية، ونأمل من جامعات الجنوب السعودي أن تهتم بهذه البلدات والحواضر، فتدرسها في أعمال علمية موقّعة. (ابن جريس).

(٢) للمخوة تاريخ قديم ونأمل أن نرى أحد طلابنا في قسم التاريخ، برنامج الدراسات العليا، بجامعة الملك خالد يدرس التاريخ السياسي والحضاري لهذه البلدة خلال القرون الثلاثة الماضية، وهو موضوع جديد ويستحق الدراسة. (ابن جريس).

مكة وجدة . والبلاد حول مخَواة خصبه جداً وتسكنها قبائل بني سليم وبني سعيديان وبني علي الثلاثة ، وهناك أيضاً في مخَواة العديد من قبيلة بني غامد ، إن التفاعل بين هذه المدينة ومكة كبير جداً في زمن السلم ، وربما تتزود مكة من هذا المكان بثلث مؤنّها من الحبوب من مختلف الأنواع . وتقع الطريق بين هاتين المدينتين عبر الأودية بشكل أساسي، وتقطع القليل فقط من التلال . كما تقع عليها بعض القرى التي يسكن في أكواخها البدو والمزارعون ^(١) . ويجدر بي هنا أن أكرر التشديد على عدم الخلط بين "مخَواة ومخا" ، والمؤلف يذكر المخَواة هنا بقوله (مخَواة) وأيضاً زهران يذكرها بضم الزاي ، وهذا قد يرجع لطبيعته غير العربية بالرغم أنه كان يجيد العربية ودقيق في الوصف ، وحتى بعض الأماكن يذكرها هكذا (الليث يذكرها ليث) ، أما القنفذة ذكرت صحيحة ، فقد يرجع هذا للمترجم أو أن المؤلف ذكرها بهذا الشكل ، قال المؤلف: " والبلاد حول مخَواة خصبه جدا وتسكنها قبائل بني سليم وبني سعيديان وبني علي الثلاثة " ولعله يقصد بـ (بني سعيديان) بني زيدان ، وهم القبائل المعروفة الحالية والتابعة للشيخ ابن موالا والتي تسكن شمال شرق المخَواة . ولما وصف الكاتب المخَواة قال: أبنية حجرية وهذا ينطبق تماما على المخَواة القديمة . أيضاً أشار إلى خصوبة الأرض حول المخَواة ، وهذا مشاهد وبخاصة وادي الأحسبة وغيره من الأودية ، والأمر المهم هو : مكانة المخَواة التجارية سواءً للمناطق حولها أو بالنسبة لمكة المكرمة، حيث كانت تزودها بالحبوب ، والمخَواة مجمع التجارات سواءً من السراة أو من القنفذة ^(٢) .

ولي تعليق بسيط على هذين المرجعين وهو : أنني لا أوافق المؤلفين في كل ما كتبا، وبخاصة الرحالة جون لويس بوركهارت الذي له تجاوزات لا أوافق عليها ، وقد عمد إلى التشويه في كثير من المواقع في كتابه ^(٣) . أما كتاب منائح الكرم فقد سجل أحداثاً في تلك الحقبة بجلوها ومرها وما يهمنها هو أخذ الفائدة منه ومن الكتاب الآخر بعيداً عن الملابس الواردة في هذه المصادر ، وربما يكون هناك مصادر أقدم مما أشرنا إليه ، ولكن هذا ما حصلت عليه ^(٤) . والباب مفتوح للجميع للبحث والتقصي ، وهذه النقول

(١) من يطلع على كتب بعض الرحالة المسلمين وغير المسلمين ، والمصادر الحجازية والوثائق الموجودة في بعض دور الأرشيف في مصر وتركيا فإنه سوف يجد مادة علمية جيدة عن بلاد المخَواة خلال الثلاثة قرون الماضية ، ونأمل أن يدرس هذا الموضوع في هيئة رسالة ماجستير أو دكتوراه في أحد أقسام جامعاتنا السعودية . (ابن جريس) .

(٢) المخَواة ، وقلوة ، والمجاردة ، ومحائل ، ورجال ألمع ، والدرب ، والشقيق بلدان داخلية في تهامة ولها تاريخ ، لكنها لم تخدم من الباحثين في السابق واللاحق ، ونأمل من أبناء هذه البلاد وبخاصة الباحثين وأرباب القلم أن يجتهدوا في دراسة وتدوين تاريخها السياسي والحضاري . (ابن جريس) .

(٣) يقصد الحمياني عموم كتاب هذا الرحالة الأجنبي ، ليس ما كتب عن المخَواة ، ومن يدرس كتب الرحالة الغربيين فإنه سوف يجد فيها بعض الأخطاء والمغالطات ، لكنها مازالت من المصادر المهمة التي تشتمل على معلومات تاريخية وحضارية لا توجد في أي مصدر آخر ، وهي مهمة للقراءة والاطلاع . (ابن جريس) .

(٤) وأقول نعم إن هناك مصادر حجازية أخرى أشارت إلى المخَواة ، كما أن هناك وثائق غير منشورة في داخل البلاد وخارجها وفيها لمحات من تاريخ المخَواة وما حولها ، ونأمل أن نرى في المستقبل من يدرس هذه المدينة دراسة علمية موثقة . (ابن جريس) .

هدفها بيان مدى المكانة المرموقة التي كانت تحتلها المخوة عبر التاريخ بعيداً عن أي تفسيرات أو تأويلات أخرى ، أو إثبات أمر أو نفيه . وهذا ما تيسر جمعه عن المخوة القديمة ^(١) ، وقد عرضت عن ذكر أسماء الأشخاص الذين كانوا يعيشون في القرية القديمة ، وكذلك الفخوذ والعوائل التي كانت تسكن هناك ، لحاجة هذا الموضوع لجهد أكبر . وقد لا يكون هذا المقام مناسباً لذكرها . وفي الختام أرجو أن تتحول تلك القرية الأثرية إلى مقصد للزائرين ، وفتح طريق معبد للوصول إليها في يسر وسهولة ، أو تحويلها إلى متحف بكل ما تعنيه هذه الكلمة ^(٢) .

وفي مكتبتنا بعض البحوث غير المنشورة عن المخوة وما حولها ، وهي من الدراسات المنشورة في كتاب : دليل البحوث الجامعية ، ومنها : (١) تهامة بلاد زهران : تاريخ وحضارة (١٢٥٥-١٣٥٥ هـ/١٨٣٩-١٩٣٤ م) ، للباحث محمد بن سعيد بن عيسى المضحوي الزهراني ، (٨٧) صفحة ^(٣) . (٢) محافظة المخوة خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين محمد بن درويش الغشام الغامدي ، وحمدي بن عامر بن موسى العماري ، وعلي بن محمد بن علي الغامدي ، (١٧٠) صفحة ^(٤) . (٣) محافظة المخوة : دراسة تاريخية حضارية مختصرة للصناعات التقليدية والحرف اليدوية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين حسين بن أحمد بن عبد الله العمري ، وخالد بن حسين بن مطر العمري (٩٠) صفحة ^(٥) . (٤) المخوة : دراسة تاريخية مختصرة عن الألعاب الرياضية ووسائل التسلية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، للباحثين هاشم بن محمد بن حسن الناشري ، وعبد الرحيم بن علي بن أحمد حمياني العمري ، وخالد بن حسن بن عبد الرحمن الشريف ، وأحمد بن علي بن أحمد المرحبي ^(٦) . (٥) منطقة الباحة (بلاد بني عمر وغامد وزهران) تاريخ وحضارة خلال القرنين (١٣هـ/١٩-٢٠م) ، للباحث عبد الله بن علي بن سالم ، (٢٨٥) صفحة ^(٧) .

(١) نشكر يا عبد الرحمن على هذه النبذة ، وقد يأتي في المستقبل من يتخذ مما كتبه دليلاً لدراسة أشمل وأوسع عن محافظة المخوة . (ابن جريس) .

(٢) المثل الشعبي يقول " لا يبني الأرض إلا حجارتهأ " ، وأقول أن ما فعلت يا عبد الرحمن من جميل الصنع لأهلك وبلادك ، ونأمل أن تتوسع في إنجاز دراسات تصب في خدمة محافظة المخوة ، كما أمل أن نرى أمثالك يجمعون تاريخ وموروث بلادهم ومساقط رؤوسهم ، ولو فعلنا جميعاً ذلك فإننا بدون شك سوف نساهم في حفظ بعض الشيء من تراث آبائنا وأجدادنا . (ابن جريس) .

(٣) انظر محمد بن معبر ، دليل البحوث الجامعية ، ص ١٩٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٣٨٩ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٣٩٠ .

(٦) المرجع نفسه ، ص ٤٠٠ .

(٧) المرجع نفسه ، ص ٤٣٩ .

رابعاً: نتائج وخلاصات:

اتضح لي عن هذه البلاد التهامية عدة أمور، أذكرها في النقاط الآتية :

١. سكانها الأصليون عرب يمنيون يعودون في أصولهم إلى قبائل الأزدي الشجبية اليعربية القحطانية . كما أنهم وإخوانهم رجال الحجر وغامد وزهران من جد واحد ، وما زالت روابطهم النسبية سارية حتى وقتنا الحاضر .
٢. تشابه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والفكرية بين سكان هذه الأوطان التهامية ، مع أن نسبة التطور تتفاوت من ناحية إلى أخرى .
٣. عموم هذه البلاد فقيرة في مجالات البحوث والدراسات العلمية ، والتاريخ والآثار والحضارة من الموضوعات التي لم تُخدم ، مع أنها مليئة بالموروث الحضاري الذي يستحق جمعه وبحثه وتحليله .
٤. على أرباب القلم في هذه الأجزاء ، وعلى الجامعات والكليات والأقسام العلمية في جامعات الملك عبد العزيز ، وأم القرى ، والملك خالد ، والباحة ، وجازان مسؤوليات كبيرة تجاه جميع المناطق التهامية الممتدة من مكة المكرمة إلى مدن جازان ، وأبو عريش ، وأحد المسارحة ، وسامطة ، فالواجب دراسة تاريخها وتراثها الحضاري . كما أن على صنّاع القرار في هذه البلاد ، وعلى أصحاب رؤوس الأموال أن يبذلوا قصارى جهودهم لخدمة أرضهم وسكانها ، وهذه من المسؤوليات الواجبة على هذه الفئات التي تستطيع المساهمة في بناء هذه الديار وتقديمها .
٥. من خلال جولاتي في هذه الرحلة ، وأيضاً رحلات سابقة في منطقة القنفذة ، وجازان ، وأجزاء من تهامة غامد وزهران وعسير تأكد لي أن هذه البلاد تحتوي على الكثير من القصص والروايات الشفاهية ، وبعض المخطوطات والوثائق والمدونات التي تمتلكها بعض الأسر والبيوتات العلمية ، كما يوجد على أرضها الكثير من المصادر المادية متمثلة في النقوش ، والآثار ، والرسومات الصخرية ، وكذلك القرى والحصون والأسواق والطرق القديمة . وكل هذه الموارد العلمية جديرة بالجمع والحفظ ثم الدراسة والتحليل ، ولإنجاز هذه المهمة لابد من تضافر جهود الجميع ، أهل البلاد أنفسهم ، وجميع الإدارات الرسمية والأهلية في هذه النواحي ، أو في أي ناحية أخرى في المناطق الجنوبية ، أو حواضر المملكة العربية السعودية الرئيسية .